مارغريت روم

قال الزهر: آه

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

CHATEAU OF FLOWERS



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدي الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

قال الزهر آه ٣٧



١ - رجل لا يطاق!

الحديقة مسترخية بفعل الحرارة الثقيلة المعتادة كل سنة في شهر اغسطس/آب. الازهار تحتفظ بعطرها في انتظار هطول المطر الذي يطلق اريجها. وفي هذا الجوّ الجامد، لا صوت، سوى طنين نحلة ضخمة يدوّي في رتابة وضجر ما لبث أن انتهى.

توقّفت فلورا مينارد لحظةً عن تفصيص البازلاء الموضوعة في وعاء أزرق على ركبتيها وراحت تتأمل النحلة. الهدوء شامل. سقطت في مقعدها وأزاحت بيدها خصلة من شعرها كانت متهدّلة على عينيها. السلام! لكن من يرغب به؟ وتبيّـــن لها أنّ حياتها دائماً تتبع مسيرة هادئة: لا حزن، لا آمال محطمة، ولا مأساة، لا شيء عكّر حياتها الهادئة. حتى ولا جدث ... ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة.

يا ترى، ما هي ردّة فعل أبناء رعية والدها القسيس، لو عرفوا أنّ الفتاة الشابة التي يعتبرونها اليد اليمنى لوالدها، الفتاة الهادئة والمتواضعة، التي أصبحت امرأة شابة مشرقة، الخالية من العقد، تحلم،

في الواقع، أن تعيش حياة أكثر اضطراباً، وأن تعبر خارج حدود القرية الصغيرة النائمة في منطقة ساسكس، حيث أمضت كل سنوات طفولتها ومراهقتها، وتتعرّف الى العالم الواسع؟

تحرّكت والدتها في المقعد المجاور لها، وفتحت عينيها الناعستين، وسألت فلورا في ريبة قلقة:

«هل عاد والدك، يا حبيبتي؟»

ابتسمت فلورا. فالعاطفة العميقة التي يظهرها والداها تؤثّر فيها باستمرار وترسّخ فيها الاطمئنان. إنهما في سن ناضجة، لكنّ حبهما أقوى مما كان عليه في أيام الصبا. وما زال الاحمرار يداهم خديّ والدتها عندما يمدحها زوجها، وبدوره كان والدها يحب أن يسمع من زوجته كلام المديح، إنه رجل رائع وسكان غيلينغهام محظوظون بقسيسهم الطيب. وكانت فلورا تعرف أنّ والديها زوجان لطيفان وبريئان. لا يريان الشر في أي مكان، حتى الذين يخطئون يلقون منهما كلّ مساعدة مطلوبة، ولا يجدون أي ادانة من قبلهما لما يمكن أن يفعلوه. وربما لذلك كان الاشخاص المتصلّبون يخرجون من الرعية وعلى شفاههم ابتسامة بعرفان الجميل وثقة مجدّدة لطبيعتهم الانسانية.

ولذلك أيضاً كانت فلورا تشعر تجاه والديها بالقلق نفسه الذي تستوحيه من جمعية الكشاف التي ترأسها.

أجابت فلورا في لهجة حانية:

«يا امي، لا داعي للقلق. صحيح أن والدي تأخّر قليلاً. لكن لا تنسي، أنّ اليوم موعد زيارته للمستشفى. وتعرفين جيداً مدى تعلّقه بالمرضى، وخاصة الجدد. لن يتأخر، أنا متأكدة من ذلك».

نهضت فلورا وأعطت والدتها الوعاء الأزرق الممتلىء بالبازلاء،

ثم تمطّطت مطوّلاً لتبدّد الخدر الذي أصاب مفاصلها من جراء جلستها الطويلة.

ثم قالت:

«إني أشعر بتحسّن الآن. البطالة لا تناسبني، يا امي!»

رفعت جين مينارد عينيها نحو ابنتها الرائعة وابتسمت لها. فقد أنعم عليها الخالق بابنة بعد زمن طويل من الانتظار واصرار الاطباء أن لا أمل لها بالانجاب. فقد سمياها فلورا (أي زهرة) لأنها كانت تتمتع بجمال الازهار المختلفة التي تنمو في هذه الحديقة الغنية. وباعجاب أمومي، راحت جين تنظر الى ابنتها وتتأمّل لون بشرتها الفاتح والخالي من أي عيوب، والناعم مثل ورق الزهر، وفمها الحسّاس المليء بلون الورد البرّي، وعينيها البنفسجيتين وشعرها الطويل الأشقر المتهدل على كتفيها النحيلتين كأمواج ثقيلة. لكنّ جسدها النحيل كان مليئاً بالصحة والعافية. وفوق كل شيء كان مالكوم و جين مينارد متأكدين أنّ فلورا فتاة جميلة أيضاً في داخلها. كانت تملك طبيعة ناعمة وسخاء كبير، مما يجعل الجميع يحبونها. لكن هذا لا يمنعها من أن تبدو أحياناً فتاة عصرية، مسؤولة ومستعدة لتحمّل كل أعباء أبناء القرية وهمومهم.

رفعت فلورا حاجبها متسائلة، فأخفت والدتها الابتسامة التي كانت على وشك أن ترتسم على شفتيها، ثم نهضت لتتوجّه الى المنزل:

«سأتركك لتغيري ملابسك، يا حبيبتي، سأعدّ طعام العشاء. وسيكون والدك قد عاد عندما يكون الطعام جاهزاً».

هزّت الفتاة رأسها وشبكت ذراعها بذراع والدتها، ودخلتا معاً الى المنزل.

وبعد ساعة، وصل القسيس مالكوم مينارد، فكان العشاء حاضراً وزوجته وابنته في انتظاره. لكن، ما أن دخل المنزل حتى أدركتا أنّ شيئاً ما على غير ما يرام. كان على جبينه المالس عادة، تجويف عميق، وحلّت مكان لمعان عينيه المتألقتين رصانة عميقة. كان مالكوم مينارد يتمتّع بقلب واسع قادر على تحمل كل عذابات الناس الذين يحتاجون اليه، لكنّه كان يعمل جاهداً وباستمرار للمحافظة على روح التوازن بين عمله وراحته، كي لا يأتي يوم يسقط فيه تحت ثقل المسؤولية الضخمة المتراكمة عليه. ومع ذلك، هذه المرّة يبدو مضطرباً... الى درجة أنه بدا عاجزاً من اخفاء هذا التوتر.

سألته زوجته وهي تقترب منه:

« مالكوم، ماذا جرى؟ ماذا حدث؟»

تجنّبت فلورا طرح أي سؤال عليه. وفي مثل هذه الظروف كانت تعرف أنها آخر انسان يمكنه أن يحقق لعائلته السعادة المنشودة. انهما يحبانها كثيراً وتعرف أنهما سوف يتألمان لو عرفا أنهما لا يستمعان الى رأيها في مثل هذه الظروف الحرجة.

هزّ مالكوم رأسه، وبدلاً من أن يتوجه الى غرفة الطعام حيث العشاء في انتظاره، توجّه الى مكتبه وانزلق في مقعده الجلدي. ولما لحقت به زوجته و فلورا وجلستا في مواجهته، وهما قلقتان، راح يقول وهو يمر أصابعه في شعره الرمادي:

«أمضيت وقتاً شاقاً في المستشفى وخاصة في فترة ما بعد الغداء. والله يدري كم كان كبيراً عدد المرضى الذين زرتهم في المستشفى الملكي الجنوبي. ومعظمهم من العميان الذين فقدوا نظرهم ولا أمل لهم بالشفاء...»

ثم أضاف في صوت تخنقه الشدّة قائلاً:

«ذلك الرجل الشاب يعيش في وحدة، أي وحدة! لا يسمح لأحد أن يقدم له التشجيع والغذاء. يرفض كل عروض الصداقة، وحسب ما قال لي، إنه لا يثق بالجراحين ولا حتى بالكهنة!»

انحنت نحوه زوجته وربتت على يده وقالت:

«اخبرنا كل شيء منذ البداية، لا شك أنك ستشعر بتحسن بعد ذلك».

لكنه أجاب بحدّة ونبرة عنيفة:

«ليس المهم ما أشعر به أنا، يا جين. يجب أن أجد طريقة لأساعد هذا الشاب!»

لزمت زوجته الصمت. وبعد تنهّد عميق سمع نصيحتها وقال:

«عندما وصلت الى المستشفى، كانت تنتظرني رسالة من سير فرانك هاملين، جرّاح العيون الشهير. ربما تتذكرين أني أخبرتك عنه. فهو يرسل معظم مرضاه الى المستشفى الملكي الجنوبي. وطلب مني سير فرانك في رسالته أن أراه قبل استئناف زيارتي العادية. وهذا ما فعلت بالضبط».

انحنت فلورا حتى يتسنى لها الاصغاء بوضوح، لأن والدها يتكلم بصوت خفيض.

«طلب مني سير فرانك مساعدته في شأن مريض دخل المستشفى أخيراً، وهو شاب فرنسي، بينه وبين عائلة سير فرانك علاقة قديمة العهد. والقصة التي أخبرني ايّاها مأساة حقيقية. منذ سنتين، فقد هذا الشاب الفرنسي نظره بواسطة مادة الأسيد. وحتى الآن، كان الأطباء الفرنسيون يعدونه بأنّ هنالك أملاً لشفائه لكنّه أمل ضئيل. وبعد أن أجريت له ست عمليات من دون أي نتيجة تذكر، استنجدت عائلته

بالسير فرانك الذي طلب نقله الى انكلترا بالمستشفى الملكي الجنوبي.لبعد الحادث كان المريض يثق باطبائه ثقة عمياء. ولم يتذمّر أبداً من الآلام، لأنه كان متأكداً، بعد كل عملية، أنه سوف يستعيد نظره. لكن، شيئاً فشيئاً، كان تفاؤله يخفّ الى أن حلّت مكانه المرارة. وأخيراً، بعد العملية الجراحية السادسة، رأى آماله تضمحل وأقسم ألاّ يدع أحداً يجري له عملية جراحية أخرى بعد الآن».

همست جين مينارد وهي على وشك البكاء:

«آه، يا له من رجل مسكين!»

قال القسيس:

«نعم. لا شك أنه يستحق الشفقة».

سألت فلورا برصانة:

«لكن ، ماذا ينتظر سير فرانك منك، يا أبي؟»

«يريدني أن أساعد هذا الشاب حتى يستعيد شجاعته، يا حبيبتي. إنّ سير فرانك متأكد تماماً أنه قادر على إجراء عملية جراحية ناجحة، ويرغب بشدّة القيام بالمحاولة. وتوّصلت عائلة المريض الى اقناعه بقبول العملية الجراحية الأخيرة. لكن وضعه النفسي منهار وهذا ما يقلق سير فرانك الذي يصرّ على أنه لا جدوى من اجراء عملية جراحية لانسان مصاب بانهيار نفسي مزمن. ولذلك طلب مني مساعدته. وهو بنفسه حاول، وعائلة المريض حاولت أيضاً... لكن من دون جدوى. واني اخشى أن يكون الجميع قد وضعوا آمالهم الأخيرة بي».

احنى رأسه وكأنه استسلم لليأس، مما جعل زوجته تعترض قائلة:

«لكنك، يا حبيبي، قادر على مساعدته، أنا متأكدة من ذلك! كم مرّة

رحت تشدّد من عزم اليائسين، وكم مرّة جاءك أناس يشكرونك على مساعدتك لهم؟»

هزّ القس رأسه وقال ببساطة:

«لقد حاولت، لكني فشلت. لم أر من قبل في حياتي حقداً بهذا العمق، واستخفافاً بهذه البرودة، ولا مبالاة بهذا الغموض. ولمدة ساعة كاملة، حاولت ازاحته عن رأيه، لكني لم أحصل منه سوى على ابتسامة صغيرة باردة، من وقت الى آخر، وعلى جواب سبق ولمحت له: «اني آسف، لكني لا أثق بالاطباء، ولا حتى بالكهنة!»

ثم أضاف القس بحسرة:

«ولا يثق حتى بالانسان نفسه. لقد أصبح هذا الرجل مثل انسان آلي، لا حسّ فيه. ولديّ شعور أنّ هذا الشاب أصيب بجرح عميق، ليس فقط جسدياً، بل إن كل الاحاسيس في أعماقه ماتت».

خيّم صمت ثقيل. ثم قالت جين مينارد مليئة بالأمل:

«ربما فلورا تستطيع أن تفعل شيئاً...»

رفعت الفتاة وجهها بصورة مفاجئة وقالت:

«أنا؟ ماذا في استطاعتي أن أفعل؟ هل صحيح يا أبي، أني...»

لكن، عندما استدارت نحو والدها، فوجئت لدى رؤيتها بريق أمل جديد في عينيه. وما لبث أن ابتسم قائلاً:

«صحيح! لماذا لم أفكّر بذلك من قبل؟ هذا الأمر يستحق التجربة!»

«لا، يا أبي. لست قادرة...»

وخلال العشاء كانت فلورا تتخبط في أفكارها. وتشعر بالذعر لدى تخيّلها لقاء هذا الرجل الذي وصفه لها والدها، والاستقبال الذي سينتظرها اذا اعتبر تدخّلها نوعاً من الوقاحة. لكن، أمام اضطراب

والدها، انتهت بالاستسلام والخضوع لارادة أهلها. وفي المساء عندما دخلت غرفتها كانت قد وعدت والدها بأن تذهب في الغد لترى هذا الشاب الفرنسي الشرس المتطلّب.

وبعد ظهر اليوم التالي، توجّهت فلورا باكراً الى المستشفى. وهو اليوم المخصّص لها لمساعدة المرضات في المستشفى، ومهمتها أن تقرأ وتكتب الرسائل، والرد على الهاتف، ووضع لائحة بأسماء الاشياء التي لا يمكن الحصول عليها داخل المستشفى. وباختصار كانت تقوم بالمساعدة قدر الامكان. لكن في هذا اليوم بالذات، كانت تشعر بحاجة ماسة الى أن تتحدّث مع انسان ما، قبل الاقتراب من المريض الذي وعدت أن تراه. وبعد تفكير طويل وجدت أن الانسان الوحيد الذي يمكنه أن يساعدها هي صديقتها الممرضة جينيفر دالتون، التي كانت تعمل في الجناح الذي من المفروض أن تتوجّه اليه.

وجدت فلورا صديقتها في مكتبها الصغير، تحتسي فنجاناً من الشاي وهي تراجع التقارير الموضوعة أمامها على الطاولة. وبعدما طرقت الباب مدّت رأسها وسألت:

« جينيفر، هل تسمحين لي بدقيقة من وقتك؟»

أجابتها صديقتها بترحاب:

«ادخلي، يا فلورا، لقد جئته في الوقت المناسب! كنت على وشك الصراخ لدى رؤية تقارير الممرضين التلامذة وطريقة خطّهم. يعتقد المرء أنّ كاتبها هو صيني، استعمل ريشة قديمة».

اقترحت على صديقتها وهي تقدم لها كرسي لتجلس عليها:

«هل تريدين فنجاناً من الشاي؟»

أجابتها فلورا وهي تسقط في المقعد:

«كلا. شكراً. إن ما اريده هو نصيحة منك».

وبعد أن القت جينيفر نظرة الى وجه فلورا المضطرب، صرخت بغيظ:

«هل من الضروري، يا فلورا، أن تهتمي دائماً بمشاكل المعذبين الذين تلتقينهم؟»

كانت فلورا على وشك الاحتجاج، لكن صديقتها رفعت يدها قائلة:

«آه، لا تحاولي الاجابة. أعرف، هذه المرّة، الأمر يختلف!»

انحنت الى الامام واضافت:

«في كل مرّة، الأمر يختلف. وفي كل مرّة، النتيجة هي نفسها. ترهقين نفسك من أجل مريض لا يستحقّ مساعدتك. متى ستفكّرين بنفسك؟ هذا ما أريد أن أعرفه؟»

لكنّ محاضرة صديقتها لم تؤثّر فيها. انها تعرف جينيفر تمام المعرفة. لأول وهلة تبدو الفتاتان مختلفتين تماماً لتكونا صديقتين، لكن طبيعة فلورا الخجولة والمتحفظة بحاجة الى حيوية جينيفر الوقحة.

أعلنت فلورا بحزم:

«لست هنا في صدد التكلّم عن حالي».

أجابتها جينيفر في صبر مستسلم:

«عظيم. قولي كل شيء، من يكون صاحب الموضوع، هذه المرّة؟»

«مريضك الجديد. طلب مني والدي أن أراه لأرفع من معنوياته. وكنت آمل لو أن في استطاعتك اعطائي فكرة حول اهتماماته، لأني لا أعرف عن أي شيء سأحدثه».

انتصبت جينيفر فجأة وصرخت:
«هل تلمّحين إلى الكونت الفرنسي؟»
راحت فلورا تضحك:
«آه، أهكذا تسمينه؟»
تجاهلت جينيفر السؤال وتابعت كلامها بسرعة:
«يا عزيزتي، لقد حاولت كل ممرضات هذا القسم، أن تحدثنه لكنّه شرس، غضوب، كئيب، رائع... كلّنا لا نجد الصفة المناسبة! إن نصف العاملين هنا يكرهونه، والبقية مغرمون به، لكننا جميعاً متفقين على نقطة واحدة: انه رجل لا يطاق!»
شعرت فلورا بقلبها يستسلم. إن كلام والدها هيأها نوعاً ما لما ينتظرها. لكن ما قالته جينيفر، جعل الرجل في صورة أكثر خطورة مما كانت تتصوّره. فقالت في صوت واضح يعتريه تأنيب ناعم:
«إنه أعمى، يا جينيفر».
اكفهرّ وجه صديقتها التي قالت:
«نعم. لكن معظم مرضى هذا القسم هم عميان أيضاً، ولا يتمتعون بالامتيازات نفسها. إن لديه جناحاً خاصاً وكل اهتمام وعناية سير فرانك هاملين. ان هذا الرجل ولد مدلل يا فلورا. لقد فقد بصره، لكنه لا يعاني من أي عاهة اخرى. لديه قدرة غريبة على التقاط الشفقة ورفضها في كبرياء. أرجوك، يا فلورا، لا تتعرّضي الى كلامه البذيء. اتركيه لمن لهم الخبرة الكافية والمناعة اللازمة ليتحملوه. لست جديرة بذلك».
اصفرّ وجه فلورا ثم هزّت رأسها:
«يجب عليّ أن أراه. لقد وعدت والدي بذلك. في أي وقت تنصحيني أن

أراه؟»

رفعت جينيفر يديها في حركة يائسة:

«حسناً، ما دمت مقررة على ذلك، وأسفاه!»

وسرعان ما هدأت عندما رأت كتفي فلورا تخوران.

«اسمعي يا فلورا، هل قمت بجولتك العادية في بقية الغرف؟»

أجابتها فلورا بالنفي.

«حسناً. عندما تنتهين من ذلك يحين موعد الأكل. ويكون سير فرانك قد زار مريضه وانتهى، وسأحاول أن أدعه يبقى لوحده مدة. هكذا، عندما تذهبين لرؤيته، يكون قد سئم من وجوده وحيداً، وعلى استعداد بالتالي لاستقبال أي زائر كان. ما رأيك؟»

«أي زائر كان... إني اشكرك!»

نهضت فلورا محتفظة بهدوئها وتوجّهت نحو الباب. وظلّت ضحكات جينيفر ترّن في اذنيها وهي تسير في الممر في خطى سريعة. ارتسمت على شفتيها ابتسامة سرعان ما زالت امام فكرة التجربة التي تنتظرها بعد أقل من ساعتين.

٢ ـ من انت ايها السيد؟

وعندما اقترب موعد الزيارة الرهيبة، لم تعرف فلورا ما إذا كانت خائفة أو راضية. وخلال كل فترة ما بعد الظهر، وبينما كانت تكرّس وقتها للاهتمام بالمرضى، كانت عيناها تنجذب صوب النافذة المحجوبة بالستائر والتي وراءها الرجل الذي وعدت نفسها بزيارته. كانت أفكارها مشوّشة الى درجة أنها لم تكن قادرة على التركيز على المهمات الموكلة اليها. ومع ذلك تخلّصت من هذه الورطة بنجاح.

راحت تسوّي شعرها بقبضة يدها وشعرت بذعر مفاجىء. وبهدوء توجّهت نحو باب الغرفة المعينة، تصلّبت استعداداً للمعركة، ثم طرقت الباب طرقة خفيفة.

سمعت صوتاً آمراً وعنيفاً:

«ادخل!»

ثلاث خطوات مترددة أوصلتها الى وسط الغرفة. وللحال نظرت نحو السرير ووجدته فارغاً. حوّلت نظرها نحو النافذة التي تطلّ على حدائق

المستشفى، فرأت أمامها صورة رجل طويل القامة يرتدي مئزراً من الحرير الثقيل واللون الداكن. قفز قلب فلورا قبل أن يبدأ بالنبض بسرعة مؤلمة. وفي الحال انحفرت صورة الرجل في ذاكرتها كان جذاباً بكل ما في الكلمة من معنى. ليس غريباً أن ينفعل قلب فلورا البريء في اتصالها الأول بهذا الرجل. إنه فارس يرتدي الملابس العصرية. كان وجهه اسمر، وذقنه بارزة. وهذه علامة العناد والتصلب. وكانت نظرته كدرة، وأنفه مستقيماً، راح يرتجف كأنه شعر باقتراب الخطر...أو التطفل. لا ينقصه سوى أن يرتدي صديرية ذات لون فاتح، ودثاراً متموّجاً، وأن يحمل سيفاً نحيفاً. انه بطل، دون كيشوت زمانه. يعتبر قطعان الغنم جيوشاً، والطواحين الهوائية جبابرة. كان يظهر عليه بوضوح أنه يعتبر أي شعور ينمّ عن الصداقة تحريضاً وتحدّياً، وأن الشفقة والعناية والاهتمام ما هي إلاّ مجرد اهانة.

قال بصوت نافد الصبر:

«من أنت، وماذا تريدين؟»

شعرت فلورا بالرأفة تمتلكها لدى تذكّرها أنه اعمى وأجابت بصوت حازم:

«أنا...أنا فلورا مينارد، إبنة القسيس مالكوم مينارد الذي زارك امس. هل تتذكر؟»

رفع رأسه متعالياً ومن غير أن يشيح وجهه عن النافذة، اجاب باقتضاب:

«أتعني أنك ابنة هذا القس التافه؟ لقد اعتقدت أني افهمته بصورة واضحة أن وجوده غير ضروري. واني اتساءل لماذا ارسل لي ابنته. ربما كان يريد منك أن ترافقيني في الحدائق، حتى استغني عن عكازتي

البيضاء. أو ربما...آه. آه، فهمت! يريدك أن تعلميني طريقة البريل (طريقة في الكتابة خاصة بالعميان تستخدم حروفاً نافرة). لا شك أن هذه مهمة تليق بابنة كاهن!»

سخر منها ما فيه الكفاية، وكان في امكانها أن تغفر له وألاّ تردّ بكلمة. لكن أن تسمعه يعامل والدها بهذه الطريقة، كان أكثر مما تتحمّله. وبغريزة بدائية، كما النمرة تحمي صغارها، راحت فلورا تهاجمه قائلة:

«إني ارى أن طريقتك في الشفقة على نفسك طريقة شنيعة وممقوتة، يا سيدي! اني لا استغرب من أنهم يتركونك لوحدك مع افكارك المنحرفة وغضبك الطفولي!»

انطفأ اندفاعه المفاجىء في صمت رهيب. لم يرد عليها، لكن قبضة معصمه تشنّجت، كأنه يقبض على خنجر غير موجود. كان غضبه ظاهراً، في هذه الغرفة الساكنة. وتساءلت فلورا، هل تجرأ أحد من قبل أن يكلّم هذا الرجل المتزمّت الفرنسي، بهذه اللهجة القاسية. لو كان رجلاً بمعنى الكلمة، لصفعها على الفور! انتظرت فلورا، وهي ترتجف، خجولة وخائفة حتى من الركض نحو الباب. احمرّت وجنتاها وسرعان ما بهت وجهها مظهراً عينين واسعتين. وفي الوقت الذي شعرت به أنها لم تعد تحتمل هذا التوتر المستمر، استدار نحوها وجهاً لوجه، وبلطف غير معقول ، اعتذر منها قائلا:

«أنت على حق، يا آنسة. لقد اصبحت صعباً ولا أطاق. لست وحدك تفكرين بذلك. إني أفقد بسهولة ضبط النفس ولا أعرف ما هي الطريقة للتخلص من هذا الاحساس.»

وتابع في لهجة عذبة:

«لكن... هل يمكنك أن تساعديني...؟»

لا شك أنه لاحظ استغرابها المكبوت، فغيّر نبرة صوته مدخلاً بعض السخرية فيه:

«هيا، يا ابنة الكاهن، أين رأفتك واحسانك؟ أنت تعرفين جيداً، انك، بسبب والدك، لن تتجرأي أن ترفضي هذا الاحسان. ماذا يقول، لو عرف أن ابنته رفضت مساعدة رجل يائس؟»

ارتسمت صورة وجه والدها الكئيب القلق فجأة أمام عينيها. وابتلعت الرفض الذي كانت ستعلنه. لا شك أنه رجل ذكي، هذا الفرنسي، اذ أنه اكتشف، من دون ان يقع في الخطأ، الحجة التي يمكنها أن تؤثر بالفتاة لصالحه. اذا رفضت طلبه، تكون بذلك قد أذت والدها أكثر بكثير من ايذائه هو.

وسألته في لهجة مرغمة:

«وكيف يمكنني أن اساعدك، يا سيدي؟ هناك أشخاص مختصون ومؤهلون أكثر مني، تحت تصرفك. لماذا لا تسمح لهم أن يساعدوك؟»

ركّز على صوتها وتقدّم منها، وتوقّف على بعد خطوة واحدة منها. نظره الذي لا يسمح لأحد ان يخرقه كان مصوّباً نحوها، محدّقاً بوجهها، كأنه يدقّق في قسماته حتى أنها شعرت بالاحمرار يجتاح خديها. وعندما لاحظت الندبات البيضاء النحيفة حول حاجبيه وعلى جبينه ـ دليل عملية جراحية حديثة ـ حينئذ أدركت باقتناع أنه لم يرها. فزاد احمرار وجهها، لكن من الخجل هذه المرة.

قال بصوت قاس:

«لماذا اختارك أنت بالذات؟ منذ الحادث الذي تعرّضت له، كنت أنت الانسانة الوحيدة التي تجرأت بكل صدق أن تبينَ لي وجهاً لوجه كل

عيوبي وأخطائي! منذ سنتين حتى الآن والجميع يكذبون عليّ باستمرار. لم أعد أطيق ذلك. لكن عندما سمعتك تكلمينني بهذه الصراحة، شعرت كأن نسمة ربيعية منعشة اخترقتني، من خلال غيوم الشفقة الخانقة والأساليب التافهة لتهدئة الآلام وتسكينها. أنت الانسانة الوحيدة التي يمكنني أن أثق بها لتقول لي الحقيقة. ولهذا السبب لا أنوي أن أخسرك. عليك اذاً أن تفعلي ما أطلبه منك، يا ابنة القس، وإلا سأرفض أن أدعهم يجرون لي عملية جراحية أخرى! ما هو ردّك على كل ذلك؟ هل توافقين؟»

قالت فلورا في صوت خفيض:

«أن أوافق على تهديدك؟ هل من اختيار آخر في مثل هذه الظروف؟»

هزّ كتفيه واستدار عائداً الى النافذة. رفع رأسه سامحاً لأشعة الشمس بأن تداعب جروحه. يبدو أنه يحب المداعبة اللطيفة والساخنة على عينيه المعذبتين. لكنه يفهم جيداً أن الفتاة بانتظار جوابه واذا به يرد عليها بلهجة متوترة:

«كلا ـ ليس لديك اختيار آخر!»

فجأة، تعب من وجودها فقال:

«والآن، اذهبي. أريد أن ارتاح. لكن عودي في الغد لتناول طعام الغداء معاً».

توتّرت فلورا غضباً أمام هذا الموقف الصريح، وخرجت من الغرفة، وتمكّنت بصعوبة كلية من عدم صفق الباب ورائها.

أظهر سير فرانك تعجّبه وفرحه من التغيير المفاجيء الذي طرأ على مريضه، بعد أن كان قد أمضى اسبوعين في رفقة فلورا. واقتنعت جينيفر بأن صديقتها حقّقت المستحيل. فبدأ المريض، بدلاً من

البقاء داخل غرفته معظم الوقت، بالقيام برحلات صغيرة في سيارة سير فرانك، يقودها السائق، وبقربه فلورا تحلّ مكان عينيه. ومالكوم مينارد يبتهج مهلّلاً غير قادر على العثور على الكلمات اللازمة لامتداح نجاح ابنته. لكن والدة فلورا كانت على يقين بالجهود التي بذلتها ابنتها والتوتر الناتج عنه.

في أحد الأيام، كانت فلورا تستعد للقيام بنزهة جديدة، حاولت جين مينارد ان تحدّث ابنتها قائلة:

« فلورا، يا حبيبتي، يبدو عليك التعب والارهاق. لماذا لا ترتاحين اليوم؟ سأتصل هاتفياً بالمستشفى لأقول أنك غير قادرة على مرافقة الاستاذ تريفيل في نزهاته.»

كانت فلورا ترتدي فستاناً من القطن الوردي اللون، فأجابتها بصوت واضح:

«لست متعبة أبداً، يا أمي. أرجوك لا تشغلي بالك. فأنا في تمام العافية. في أي حال إذا تمنّعت من الذهاب اليوم، لن يكون ألآن مرتاحاً لذلك. انه يحب النزهات كثيراً، وكان مسروراً عندما أخبرته بوجود سباق خيل في حديقة قريبة جدأمن هنا. ولا أريد أن أخيّب أمله، أليس كذلك؟»

تنهّدت السيدة مينارد وقالت:

«كل هذا جميل جداً، يا فلورا. لكنني بدأت أقلق عليك. فأنت لا تتمتعين بالقوة نفسها التي كنت تبدين بها قبل تعرّفك الى ألآن تريفيل. وانت فوق ذلك شاحبة. لا شك أن ألآن شاب لطيف، لكنه ذو سطوة. ومنذ أن تعرفت اليه، نادراً ما تخصصين لنفسك وقتاً خاصاً بك. هل أنت متأكدة بأنه لا يطلب منك الكثير؟»

استدارت فلورا رغبة منها في اخفاء الدموع التي تنهمر على وجهها. من الأفضل أن تظلَ أمها ووالدها يعتبرانه رجلاً لطيفاً. في كل حال انه كذلك تجاههما. لكنها هي وحدها تعرف الانهيار القوي الذي يصيبه عندما يكونان معاً. أصبحت هي صمام الأمان بالنسبة اليه، وكبش المحرقة. وأمام كلّ العاملين في المستشفى يبدو ألآن مريضاً مثالياً. هي وحدها التي تتكبّد كل الهجمات التي توقظ فيه يأساً عنيفاً، اذ يرى أنّ راحته الوحيدة في أن يصبّ جام غضبه على الآخرين. في البداية كانت تردّ الضربة بضربة اخرى، لكنّ هذا التصرف من جانبها كان يزيد من غيظه، مما يجعلها تتنازل عن مقاومتها والتحلّي بالصمت حتى تنتهي الأزمة. لكن، أحياناً، كان يظهر لطفاً غريباً، مما جعلها غير قادرة على أن ترفض له أي طلب. اكتشفت فلورا أنها تحبه...

ما زالت والدتها تنتظر منها جواباً. اقتربت فلورا منها وركعت امامها:

«يا أمي، قال لي سير فرانك إنه يأمل أن يجري العملية الجراحية لعيني ألآن في الأسبوع المقبل. وبعدها لن يعود في حاجة اليّ. ومتى استعاد نظره، سيعود الى فرنسا وسينساني بسرعة.»

انتفض قلبها انتفاضة مؤلمة، لكنها اضطرت الى متابعة الحديث:

«بعد أسابيع قليلة، تعود الحياة الى مجراها الطبيعي، وسيتسنى لي الوقت لأرتاح. لكن، ما دام ألآن في حاجة اليّ، عليّ أن أبقى معه. هل تفهمين؟»

ربتت والدتها على يدها وقالت:

«عظيم. لن أزيد كلمة واحدة...لكن تذكّري أنّ سعادتك ثمينة لي

ولوالدك، واننا موافقان على كل شيء يؤمّن سعادتك.»

شدّتها فلورا الى ذراعيها وقالت وهي تضحك:

«هل هناك من قرار يمكن أن آخذه، يؤثّر على حياتي معكما؟»

اكتفت الوالدة بالابتسام ونهضت لتخرج من غرفة ابنتها. لكنّها ظلّت راكعة تفكّر مطولاً بما قالته.

وصلت سيارة سير فرانك متأخرة. كان ألآن في داخلها، ومن خلال نافذة غرفتها المفتوحة سمعت فلورا والدتها تصرّ عليه بالنزول وتقول له: فلورا ستصل بعد لحظة. وأجاب ألآن بلهجته الانكليزية اللطيفة شيئاً لم تسمعه الفتاة، لأنها تناولت حقيبة يدها ونزلت مسرعة: تريد أن تعرف ما اذا كان ألآن في مزاج جيد أو أن عليها أن تتحمّل ساعات طويلة من العذاب.

وما أن رأته حتى فهمت أن النزهة ستكون ممتعة. وحين سمعها تقترب منه ابتسم، وشعرت برغم نظارتيه السوداوين أن لا قلق في عينيه.

سألها بفارغ الصبر:

«هل انت حاضرة؟»

«نعم، يا ألآن».

منذ اليوم الأول الذي دعاها لتتناول طعام الغداء معه، أصرّ عليها أن تتخلى عن كل الأعراف والشكليات، واحتاجت الى أكثر من اسبوع لتعتاد أن تناديه ألآن بدلاً من السيد تريفيل.

«هيّا بنا اذاً، لنسرع حتى لا تفوتنا الجولة الأولى!»

كان الطقس جميلاً ورائعاً لمثل هذا النوع من النزهات، والجوّ حاراً، لكن النسيم يمنع الحرارة من ان تكون لاهبة. اختارا مكاناً هادئاً، لأن

ألآن لا يحبّ الازدحام. فقد طلب من السائق الذهاب والتمتع بوقته، وحدّد له وقت العودة.

لم تكن فلورا تعرف شيئاً عن سباق الخيل، لكنها كانت تعرف بواسطة غريزتها كل ما يحبه ألآن. راحت تصف له بدقة كل ما حولها بصورة تفصيلية جعلته يتحمّس. وعندما حان وقت الغداء، فتحت سلة الأكل فأكلا بشهية كل ما طاب ولذ، وبعدها تمدّد ألآن على بطانية فرشت على الحشيش وقال لها وهو يتنهد:

«رائع! شكراً، يا فلورا. عندما أعود الى وطني، عليك أن تزوريني، وسآخذك بدوري الى سباق الخيل هناك!»

قفز قلب فلورا بفرح. إنها المرّة الأولى يتحدث فيها عن رغبته في العودة الى بلده، أو يتكلّم عن حياته الخاصة. كانت دائماً تشعر بحاجة الى أن تعرف شيئاً عن حياته الشخصية، لكنها كانت تخشى أن يوبّخها. لكن في هذه المرّة، قرّرت المخاطرة وسألته في تردّد:

«أين يقع منزلك، يا ألآن؟»

أجاب فجأة بعد أن ظهرت تجعيدة صغيرة على جبينه:

«قرب مدينة غراس.»

توقّف برهة ثم اضاف:

« غراس، هي مدينة فرنسية وكذلك المركز الأساسي لصناعة العطور. خلال كل فصول السنة تتفتّح الازهار النامية بكثرة على طول الشاطىء التابع للبحر الأبيض المتوسط. مدينة كان مشهورة بالورد والأكاسيا والياسمين، ومدينة نيم مشهورة بالزعتر واللاوند واكليل الجبل، ومدينة نيس مشهورة بالبنفسج والخزام. لكن من بين كل هذه الأمكنة، غراس هي التي تتمتع بأكثر من شهرة، لأن هناك تنمو

كل أنواع الأزهار وحيث تتم صناعة العطور».

كانت فلورا تصغي بافتتان. ليس من العجب اذا أحبّ مداعبة الشمس، هو الذي أمضى كل حياته في جنّة كهذه!

«الأزهار تنمو طيلة أيام السنة؟»

«طبعاً، من كانون الثاني ـ يناير حتى آذار ـ مارس، نجد أزهار البنفسج، والنرجس والميموزا، وفي نيسان ـ ابريل وأيار ـ مايو وحزيران ـ يونيو، نجد الورد وفي حزيران ـ يونيو أيضاً نجد الخزام والقرنفل والوزال. وفي تموز ـ يوليو مجموعة مختلفة من الأزهار بما فيها اللاوند والياسمين والمسك. وفي آب ـ اغسطس وايلول ـ سبتمبر وتشرين الاول ـ اكتوبر، نجد النعناع والجيرانيوم. وحتى في الميلاد نرى في كل مكان بحراً ذهبياً من المشمش الذي يعمّ المنطقة بعطره، على طول كيلومترات في جميع الجهات.»

قالت فلورا ضاحكة:

«كفى. لم يعد عقلي يستوعب أكثر! كم كنت سعيداً ومتفائلاً لرؤية هذا الجمال. لا شك أنك ترغب في أن ترى كل هذا من جديد!»

وما أن نطقت بهذا الكلام حتى عضّت على لسانها، لكن الأوان كان قد فات. لكنه لم يقم ألآن بأي حركة، لكنها، غريزياً، شعرت بانقباضه. نظرت اليه في قلق، لكنه لم يكن يخبىء أحاسيسه. كان جسده الطويل بكامله مرتاحاً. فجأة، لاحظت انقباض معصمه. فندمت لما قالته ووضعت يدها في يده، تعي تماماً مدى قلقه وقالت:

«سوف تستعيد نظرك، يا ألآن، باذن الله. أنا متأكدة من ذلك! لا تدع اليأس يشوّه حظك بالنجاح، من الضروري المحافظة على الاسترخاء وعلى روحك المعنوية، فسوف يقوم سير فرانك بالعملية الجراحية في

الأسبوع المقبل.»

أبعد يدها عنه بغضب واصطكّت اسنانه المشدودة وراح يقول:
«يا الهي! لا تراعي خواطري يا فلورا! ماذا تفهمين من كل هذه العمليات الجراحية؟ ألا يكفي أني تحمّلت ستّة محاولات فاشلة؟»

ثم أضاف بسخرية كأنه يقلّد صوتاً آخر:
«لا تخافي، إن الندبات حول عيني تخف مع الأيام. لا تهمني الندبات. انها لا تنفع في شيء. كل ما اريده، هو أن ارى!»

انفجرت فلورا في البكاء. فهي غير قادرة أن تتصوّر ما يمكنه أن يفعل اذا عرف أن لا أمل في شفائه وانه سوف يبقى ضريراً طوال حياته.

كانت على وشك الانهيار. ظلّت صامتة طوال الوقت. ومرّة أخرى انطوى على نفسه. لا شيء تقوله يمكنه أن يخرجه من هذه الحالة الانطوائية. وراحت تصليّ كي تمر الأيامالمقبلة بسرعة. جسدياً، ما زالت قادرة على المقاومة. لكن كم يبقى من الوقت أمام عقلها ليتحمل كل هذا العذاب الذي اختارت أن تعانيه من أجل مساعدة ألآن تريفيل، في تحقيق امنيته العزيزة؟

٣ ـ عرض مفاجىء

انتهت العملية الجراحية. وقبل دقائق قليلة، وصلت جينيفر كالأعصار الى غرفة الانتظار لتقول لفلورا انهم في صدد ايصال ألآن الى غرفته وأن سير فرانك يرغب في التحدّث اليها. كانت فلورا فريسة أحاسيس داخلية حزينة. هل فشلت العملية؟ هل يريد سير فرانك منها أن تطلع ألآن بهدوءٍ على الخبر السيء؟

راحت تذرع ارض الغرفة بخطى واسعة. ينخر قلبها القلق. وكانت الدقائق تمر وسير فرانك لم يظهر بعد. استمرت العُملية ساعات عديدة، وخلال هذا الوقت كانت تنتظر آملة حدوث المعجزة. أما الآن فكانت تريد رؤية ألآن والتأكد أنه لا يتألم.

انفتح الباب ودخل سير فرانك وعلى وجهه ملامح متعبة:

«آه، آنسة مينارد، أشكرك لأنتظارك! أود أن أكلمك في شأن ألآن.»

انتظر منها ان تجلس، فقرأت على وجهه المتعب علامات القلق. يداها مشدودتان على تنورتها، تنتظر ما سيقوله.

وما لبث أن أعلن بحدة:

«تمّت زراعة القرنية في العين اليمنى، وكنت أنوي، في الأيام المقبلة أن أباشر العمل في العين اليسرى. لا شك كنت تعرفين، وألآن يعرف ذلك أيضاً، أن العملية ستتم على مرحلتين؟»

هزّت فلورا رأسها، ثم تابع سير فرانك كلامه:

«بعد أن أجريت العملية في العين اليمنى، فحصت اليسرى بدقة...»

ثم توقّف عن الكلام وانقبضت فلورا وسألته:

«و...؟»

هوى في المقعد ثم قال:

«أخشى ألاَ يكون التشخيص مشجعاً...»

«هل تريد ان تقول أنّ ألآن لن يستعيد نظره؟»

تردّد وراح يبحث عن الكلمات التي تخفّف الصدمة عليها:

«العين اليسرى متلفة، لكنني كنت متأكداً أنها ليست متضررة بشكل يتعذر معه معالجتها. أما اليوم، فقد اكتشفت أنها ملتهبة قليلاً. وعليّ أولاً القضاء على الالتهاب قبل الاستمرار في المعالجة. هذا يعني، تأخير المرحلة الثانية من العملية الجراحية. لهذا السبب طلبت أن أحدّثك، يا ابنتي العزيزة. لقد حققت أعجوبة مع ألآن، في الاسابيع الماضية، وأريد أن اتأكد أنك ستظلين هنا ما دام هو في حاجة اليك، وأن تكوني في جانبه عندما أخبره كل هذه التفاصيل، وما انوي فعله.»

كان صوت الجراح يخترق الضباب ويرن في أذنيها رنة حزن وراحت تتصوّر حالها مكان ألآن وتتساءل: هل من العدل أن يتحمّل عذاب سبع عمليات جراحية، ليصل في النهاية الى نتيجة سلبية كهذه؟ ألم يكن من الأفضل لو ترك بدون أي امل، بدلاً من ان

يفرض عليه هذا التوتر المستمر بين الأمل واليأس؟ شعرت بالغضب والأسف وراحت تهاجم سير فرانك:

«لماذا لا تتخلىّ عن كل هذا؟ لماذا تظلّ تقدم اليه الوعود، وانت تعرف أن لا شيء يمكن فعله في هذا الصدد؟»

أجابها في هدوء:

«هناك دائماً شيء يمكن فعله، يا ابنتي العزيزة. لو لم نكن نتمتع بهذا اليقين، نحن الاطباء، لما أجرينا أية عملية جراحية. خيبة الأمل هذه تؤسفني أنا أيضاً، وارجوك أن تصدّقيني، إنها فقط خيبة امل...وارجوك أن تساعدي ألآن على تصديق ذلك. بعد سنة، او ربما أقل، يمكنني أن انهي العملية، بنجاح، هذه المرة. لكني في حاجة اليك لتقنعي ألآن بأن لا يستسلم الى اليأس. هل يمكنني الاتكال عليك؟»

«لن يصدّقني. لا الآن ولا في أي يوم، أنا متأكدة من ذلك.»

شعرت فلورا بأن كلامها افتر حماس فرانك، فسكت ثم قال:

«اذاً. نطلب من الله أن يساعده ويساعد عائلته! والدته تعزّ عليّ كثيراً وكذلك كان والده، ولا شيء يفرحني سوى أن أتمكن من اعادة النظر اليه. لكن اذا كان ما تقولينه صحيحاً، فمن المستحيل أن أصل الى هدفي.»

قالت فلورا والدموع تترقرق في عينيها:

«سأفعل كل ما في وسعي لأقناعه. لكن، اذا رفض، أرجوك، ألا تشعر بأنك مسؤول عن هذا. في المستقبل، عندما يتغلب على خيبة أمله، ربما يقبل حينئذ أن يقوم بمحاولة جديدة.»

ربّت على يدها وقال:

«أنت فتاة رائعة، يا فلورا. لم أعد أستغرب لماذا يشدّد وجودك من

عزيمته. واني متأكد من أنك اذا بقيت قربه خلال الأشهر المقبلة، الصعبة، فسوف تنقذينه من هذه الورطة. أما اذا كان ذلك مستحيلاً، فلا يبقى لدينا سوى الأمل في أن يتغلب بنفسه على خيبة الأمل ويتوصّل الى نتيجة حكيمة.»

قبل ان تعود الى منزلها، سمح لفلورا بأن ترى ألآن في غرفته. لقد أكّد لها سير فرانك أنه ما زال تحت تأثير المخدّر، ولن يستعيد وعيه الاّ بعد ساعات. وانه في حاجة الى عناية فائقة، وأن الزيارات ممنوعة عليه.

وما ان دخلت فلورا غرفة المريض، حتى صوّبت نظرها الى الوجه الراقد على الوسادة البيضاء. الضمادات تغطي عينيه والركائز تجعل رأسه جامداً. وللمرة الأولى كانت اصابع يده الطويلة الشديدة الحساسية، ممدّدة على السرير بدون حركة.

كانت فلورا موجودة في الغرفة، ذلك الصباح عندما قرّر سير فرانك أن يخبر ألآن عن نتيجة الأبحاث. حدث ذلك بعد اسبوع من العملية. لم يكن ألآن في سريره، إنما كان جالساً في كرسيّ قرب النافذة، ومئزره الغامق يزيد من شحوبه. وخلافاً لجميع النصائح، كان قد ازاح الستائر، وأشعة الشمس تسطع على شعره وتدفىء ملامحه القاسية بنورها العسلي. قام بحركة غاضبة عبّر فيها عن انزعاجه من استمرار وجود الضمادات على عينيه، وتشنّجت فلورا، لدى دخول سير فرانك الغرفة.

اقترب من ألآن بخطى واسعة وفاجأه قائلاً:

«اعتقد، يا ألآن، أنّ الوقت قد حان لمحادثة صغيرة!»

أحسّ ألآن بعداء مباشر وقال بصوت حاد:

«لا شك. لنتحدث اذاً، إذا كان ذلك ينهي هذه المسرحية الهزلية التي تحملتها طيلة هذا الاسبوع!»

ردّد سير فرانك بلهجة معقّدة:

«مسرحية هزلية؟»

لم تكن فلورا مستغربة عندما أجابه ألآن بصوت بارد:

«هل تعتبرني انساناً أبله؟ هل تعتقد أني لا أعرف التمييز بين النجاح والفشل. حتى ولو لم يكن في وسعي أن أرى الاشارات الحسّية المباشرة، فان لطفك الزائد والقلق في صوتك، يكفيان لتحذيري! فضلاً عن محاولات فلورا المستمرة لمواساتي من دون اظهار ذلك. انها تعرف ايضاً، أن العملية الجراحية كانت فاشلة. فكلّ تعبير في صوتها، أعرفه تمام المعرفة. لقد فضحتها شفقتها العميقة التي تشعر بها تجاهي، في مئات المرّات، وبطرق عدّة.»

إنّ حقده العنيف ويأسه المميت جعلا فلورا وسير فرانك يلتزمان الصمت. وفي عينيها المليئتين بالدموع كانت فلورا تنادي سير فرانك بصمت، لكن هذا الاخير هزّ كتفيه معلناً عن وهن عزيمته، مما جعلها تخنق بكاءها في حنجرتها. وفي هذه المرّة ايضاً، أظهر ألآن حساسيته المرهفة اذ قال:

«لا تذرفي دموعك من أجلي. لا أريد شفقتك! من الآن فصاعداً، سوف استسلم وأعيش حياة رجل أعمى، واتعلّم لغة البريل، وانتقل مستعيناً بعكازة بيضاء. كما يجب عليّ أيضاً أن أتعلّم تقبّل الشفقة ومظاهر اللطف من الجميع... لكن ليس منك أنت، يا فلورا، أبداً! يجب أن تظليّ صادقة تجاهي، هل تفهمين؟ واذا اكتشفت مرّة واحدة، أنك كذبت عليّ، فسيكون ذلك اليوم كارثة حقيقية عليّ.»

استعادت فلورا هدوءها وقالت:

«لا يمكنني أن أكذب عليك، يا ألآن، ويجب أن تصدّق كلَ ما سأقوله لك الآن. ما زال هناك حظ في شفائك. كان سير فرانك يحاول أن يطمئنك، إن في وسعه، بعد عدّة شهور، إنهاء المرحلة الثانية من العملية بنجاح أكيد. عليه فقط معالجة التهاب بسيط، قبل أن يستأنف برنامج عمله في المرحلة الثانية. وبعدها كل شيء سيتم كما يجب. أرجوك، يا ألآن، أن تسمعه. اني أتوسّل اليك!»

وكان جوابه بأن رفع يده الى عينيه، شاتماً، وخلع عنهما الضمادات. ورماها أرضاً، ثم رفع رأسه في عزم رافضاً كل الحجج بعد خيبة الأمل القاسية:

«ارجوك. لا أريد الخوض في هذا الحديث بعد الآن. لا أريد أن أسمع شيئاً عن هذا الموضوع!»

وخلال الأسابيع اللاحقة، لم يقم سير فرانك و فلورا أي اعتبار لرغبة ألآن بعدم السماح لأحد في استئناف الحديث حول مسألة مرضه. لكن ألآن اصرّ على عناده وتصلّبه، وبدأ يسترجع قواه تدريجياً. ومع اقتراب موعد رحيله، فهم سير فرانك و فلورا أن عليهما أن يتقبّلا فشلهما. غير أن فلورا كانت تشعر بوجود أمل خفي بأن ألآن سيغيرّ رأيه، حين يضع نفسه من جديد في بيئته الخاصة. لأنه سيشعر انه في حاجة لرؤية كل الاشياء التي اعتاد رؤيتها قبل الحادث، فلن يتحمّل الاعتماد على حواسه الأخرى.

ولمّا سمح له سير فرانك باستئناف النزهات التي كان يقوم بها مع فلورا، عادت الحياة الى مجراها الطبيعي، وكانت فلورا تمضي كل أوقات بعد الظهر برفقته، لكنها لم تتجرأ على التحدّث اليه عن

امكان إجراء عملية جراحية أخرى، خوفاً من أن يجرحها غضبه الذي يزداد مع تحسّن صحته واستعادة قواه.

وخلال فترة النقاهة، أصبح ألآن بالنسبة الى فلورا زائراً مداوماً. وبدأ والداها يشعران تجاهه بمحبة عميقة، ومن جهته كان يبدو متحمساً برفقتهم. وخلال إحدى زياراته، وبينما كان جالساً في الحديقة برفقة فلورا، يتمتّعان معاً بنعومة الطقس وعذوبة الهواء، فاجأها ألآن سائلاً بلهجة عادية:

« فلورا، هل توافقين على الزواج مني؟»

كان ممدّداً على كرسي طويل مريح، يمضغ عوداً من الحشيش الأخضر. لا شك أنه شعر باستغراب فلورا التي همست تقول:

«ماذا...ماذا قلت؟»

رفع رأسه في حركة متلهفّة ورمى عود الحشيش وقال:

«أنا بحاجة اليك، يا فلورا. لا يمكنني العودة الى فرنسا من غيرك. أتعدينني، على الأقل، بالتفكير في الموضوع؟»

راح قلب فلورا ينبض بسرعة فائقة، حتى أنه خيّل اليها أن كل اعضاء جسمها ترتجف. إنها تحبه كثيراً الى درجة أنها مستعدة لأن تضحي بحياتها من أجله. لكنه كان يظهر لا مبالاة عندما طلب منها أن تصبح زوجته. فتحت فمها لتقول له إنها تحبه كثيراً، لكنه تابع حديثه بهدوء:

«سيكون زواجنا زواج مصلحة، لا أكثر ولا أقل. لن اطلب منك أكثر مما تقدمين اليَ الآن، وما قدّمته خلال الأسابيع الماضية. لقد أصبحت بصري الذي خسرته. وبفضلك أشعر وكأنني أرى من جديد. كما أني اعدك، أنك انت أيضاً، سوف تحققين مكسباً من هذا الزواج.»

ولمّا هدأت نيران كرامتها، شعرت بسعادة خجولة و يائسة لم يكن في وسعه رؤية مدى تأثير كلامه عليها. هذا العرض الجاف والبارد للزواج منها كان، بالنسبة الى فلورا، أقصى العذاب الذي يمكنها أن تتحمّله حتى الآن. ووجدت عزاءها الوحيد بأنها متأكدة تماماً من أنه يجهل حقيقة عواطفها. لم يتحرّك. ظلّ رأسه منحنياً، كأنه يصغي، أو يحاول إدراك ردّة فعلها. وهي ظلّت جامدة تنتظر هدوء توتر افكارها وحتى تستعيد السيطرة على نفسها.

سألها فجأة:

«هل ما زلت هنا؟»

كانت كلماته تنمّ عن حاجته الماسّة اليها. وأرادت فلورا لطبيعتها المتسامحة أن تنسى ما ينطوي عليه عرضه المفاجيء لتحتفظ فقط بندائه اللاواعي وطلبه مساعدتها. فأجابت وهي تحاول أن تتحدّث في صوت هادىء:

«نعم، أنا ما زلت هنا.»

استرخى وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة ثم قال:

«هذا أفضل. كنت أخشى ألاّ تكوني سمعت ما قلت. اذاً، ما هو جوابك يا فلورا؟ هل تقبلين بالزواج مني والعودة معي الى فرنسا؟»

أجابت في صوت خفيض جداً:

«نعم.»

كبرت ابتسامته وقال وفي صوته بعض السخرية:

«شكراً. لقد كنت أتصوّر أن هذه الفكرة ستروقك.»

قامت فلورا بجهد كبير للمحافظة على برودة أعصابها، ولتتذكّر مدى حزنه ووحدته وحتى خوفه العميق الذي لا يريد اظهاره. منذ

سنتين وهو يعيش آملا في أن يستعيد بصره. والآن، مات الأمل في داخله. ولكي يجابه المستقبل، فهو في حاجة الى مرساة، الى أحد يفهم حاجاته ولا يتطلّب منه أي عاطفة أو شعـور ما. تذكّرت فلـورا كلمات سير فرانك:«اني متأكد من أنك اذا بقيت معه خلال الأشهر المقبلة، الصعبة، فسوف تنقذينه من هذه المحنة.». ربما ما تفعله تضحية كبرى، وربما يكون ذلك جنوناً تتحمّل وحدها نتائجه. لكنه طلب منها مساعدته وحبها كبير الى حدّ أنها عاجزة عن رفض ما طلبه منها.

رفع حاجبيه في سخرية وسألها في صوت فاتر:

«تعجبك اذاً فكرة أن تصبحي كونتيسة؟»

التفتت نحوه في استغراب، لكنها تذكّرت أنه لن يراها وتلعثمت وهي تقول:

«كونـ..كونتيسة؟»

قال وهو يضحك في اشمئزاز:

«هه! هه! هل تريدين الادعاء أنك تجهلين حقاً، أنك سوف تصبحين كونتيسة بزواجك مني؟ ستأخذ والدتي لقب الكونتيسة بالتقاعد...ولا شك أنها ستكون سعيدة ومرتاحة لتنقل اليك العبء كله. وحسب ما أتذكره، قالت مرّة إنها متعبة من مسؤولية تنـظيم جميع الأمـور في القصر، ولا شك أن مجيئك سيجعلها تتمتّع ببعض الراحة.»

شعرت فلورا بما يشبه الهلع يجتاح كيانها. قالت:

«لست أفهم شيئاً. أتريد أن تقول أنك أنت الكونت ألآن تريفيل وأنك تملك قصراً؟ اذا كان الأمر كذلك، فلا يمكنني قبول عرضك...إن فكرة أن أصبح كونتيسة ترعبني! أرجوك، قل إن كلامك مزحة...!»

أجابها في حدّة وكبرياء:

«كلا. لست أمزح. إن لقبنا من أقدم الألقاب في فرنسا. و قصر الزهور بناه أسلافي، في القرن الثاني عشر».

تنهّدت فلورا مرتعبة:

«لكن لماذا لم تقل لي ذلك من قبل؟»

سكت قليلاً قبل أن يجيب:

«كنت اعتقد أنك تعرفين جيداً من أنا. لم يكن ذلك سراً والجميع في المستشفى يعرفون من أكون. وبعض الممرضات كن يتجرأن بوقاحة و ينادونني: الكونت الذي لا يطاق.»

تذكّرت فلورا أنها سمعت من جينيفر تعبيراً بهذا المعنى. وفي ذلك الوقت اعتقدت أنهم لقّبوه بالكونت بسبب تصرفه الوقح والمتعجرف. ولم تعرف الآ الآن بالذات أنه حقيقة كونت، بما في الكلمة من معنى.

عاد ألآن ليقول بلهجة معبّرة:

«إن والدك على علم بذلك، هو أيضاً. لقد أخبرته أني الكونت تريفيل، وذلك منذ أيام قليلة، عندما قرّرت أن اطلب يدك. كان يجب أن أبدو أمام عائلتك أنني قادرعلى الاهتمام بك كما يجب.»

«آه، ألآن!»

لم تستطع أن تمتنع من الابتسام أمام التعبير اللطيف. إن والدها، لا يعلّق أهمية على الفوائد المادية. وما يهمه أن يعرف هي هوية الرجل الذي يرغب في الزواج من ابنته. هل هو يحبها، أم لا.

عرف ألآن، الذي يتمتع بموهبة غريبة في إدراك ما تشعر به فلورا تماماً، إن الفتاة في حيرة. فقرّر أن يغيّر الموضوع فقال:

«كفانا كلاماً في هذا الموضوع. لقد قبلت العرض ولن أدعك تغيّرين

رأيك. يجب أن نعلم والديك بهذا القرار. ثم نهتم بالاجراءات اللازمة لهذا الزواج. اني اصرّ على الاحتفال به هنا، في انكلترا. وهكذا يمكنني أن أقدّمك الى قصر الزهور على أنك زوجتي... الكونتيسة تريفيل الجديدة!»

شعرت فلورا بالشكوك تستيقظ في داخلها. وفي انزعاج عميق، رأته يرسم ابتسامة غير محبّبة، ابتسامة رجل اكتشف طريقة ليصفّي حساباته القديمة. لقد وجدت قليلاً من الارتياح لدى طلبه الزواج منها لأنه في حاجة إليها. وانها تتساءل الآن، من سيكون ضحية الانتقام الذي يحيكه الآن، في قصر الزهور. شعرت بدمها يتجلّد لمجرد التفكير أنه يستعملها كسلاح لينفّذ مآربه. إنّها تحبه، وسواء شاءت أم أبت، فهي ستظل تحبه، لكن هذا لا يمنعها من رؤية أخطائه بوضوح. إنه انسان قاس، حاقد، متغطرس، لا يشعر بأي انفعال. انه كل هذا، ولهذا السبب بالذات قبلت عرضه. ألآن، الكونت تريفيل، يركض وراء خسارته. وهي تعرف أنها لن تتخلى عنه ما دام هناك حظ لمساعدته على الشفاء واستعادة بصره!

٤ - ضحية الانتقام

بعد مرور ثلاثة اسابيع، تمّ زواج فلورا وألآن، في كنيسة القرية الصغيرة، التي شهدت طفولة فلورا واصبحت فيما بعد محور حياتها. لم ترتد الثوب الأبيض الطويل، ولم تحمل باقةَ الزهور المعطّرة، ولم تضع نقاب العروس، بل كانت ترتدي بذلة بيضاء قصيرة، وقبعة عادية متناسقة، وتحمل بين يديها كتاب الصلاة المغلّف بالعاج. لكنها لاحظت أن الكنيسة كانت مزينة بمختلف أنواع الزهور العطرة ذات الألوان الزاهية، تلمع على الأثاث المصنوع من خشب الجوز الداكن. ابتسمت وهي تعرف جيداً أنّ والدتها هي التي قامت بتزيين الكنيسة، إنها مبادرة تمّردية ضدّ قرار ألآن القاطع بالامتناع من إقامة عرس احتفالي.

كانت فلورا شاكرة لوالديها لطفهما وجهدهما في اخفاء قلقهما العميق تجاه مستقبل ابنتهما الوحيدة.

لم تكن تحدث أي صوت وهي تتقدّم متأبطة ذراع سير فرانك،

لكنها رأت ألآن يرفع رأسه كأنه سمعها تقترب، ويلتفت نحوها. كان يبدو مرتاحاً في الظاهر، مدّ يدة وشبكها بيدها. أي انسان، لا بدّ أن يدهش لدى رؤية تصرفات ألآن الواثقة. لكن فلورا رأت ارتعاشة عصبية في زوايا شفتيه تدل على أنه يحاول كبت غضبه، فلم تندم لتخلّيها عن الاحتفال والبذخ المألوف في مثل هذه المناسبات، من أجل اعفائه من هذه المحنة الطويلة.

كان الاحتفال بسيطاً وقصيراً. ثم ذهب الجميع الى القاعة الملحقة بالكنيسة لتناول الغداء. جينيفر التي كانت شاهدة زواجهما، مع سير فرانك، كانت الانسانة الوحيدة التي أعربت عن فرحها، وساعدت ثرثرتها على إضفاء جوّ البهجة على الاحتفال. وبرغم توتره، أظهر ألآن لطفه أمام الحاضرين، لكن عندما حان الوقت للذهاب الى المطار، ترك نفسه ينزلق في مقعد السيارة التي وضعها سير فرانك تحت تصرفهما وهمس قائلاً:

«يا إلهي. إني سعيد أن كل شيء انتهى! لم أعد قادراً على الصبر دقيقة واحدة اخرى!»

لم ترد فلورا. إنها وحدها للمرة الأولى مع الرجل الذي وعدت، منذ ساعات قليلة، بأن تحبه، وتحترمه وتتبعه. فجأة أصيبت بالذعر. محبسها الذهبي الثقيل كان بمثابة سلسلة تربطها به مدى الحياة. كانت ترغب أن تسحبه من اصبعها وترميه من نافذة السيارة!

لا بدّ أن ألآن شعر بعصبيتها وحالتها النفسية، فراح يحدثها في هدوء ويقول بلطف:

«قريباً نصبح في طريقنا الى فرنسا. اني متأكد من أن الرحلة ستعجبك. هل قلت لك إن هناك طائرة خاصة تحت تصرفنا؟»

لم تتمكن من النطق، فاكتفت بهزّ كتفيها. فتابع ألآن حديثه:
«عندما اتصلت بوالدتي هاتفياً لأعلمها أننا سوف نسافر عندما تتوفر لنا أماكن في الرحلات العادية، أطلعتني على عرض قدّمه جيراني بأن يضعوا طائرتهم الخاصة تحت تصرفي.»

قالت فلورا في صوت خفيض:
«لجيرانك طائرة خاصة؟»

«نعم. إنهم أصحاب مصانع كبرى. يملكون قصراً قرب قصرنا، يقطنونه اشهراً قليلة خلال السنة كلها. وقد بنوا مدرجاً واشتروا طائرة، وهكذا يمكنهم السفر متى أرادوا وبالسرعة المرجوّة. لكن السيد شيسنيه يستعمل الطائرة من أجل القيام بأعماله العديدة. وهذا يعني، أن امتلاكهم لطائرة، ليس ترفاً كما ظننت.»

تنهدَت فلورا:
«آه. اني افهم الآن. إنها تلائمهم وتريحهم.»

اعتبر ألآن أنّ جوابها ساخر، فعاد الى صمته واستعاد نظرته الداكنة ولم يقم بأي جهد ليسرّي عنها من جديد.

وبعد ساعتين، عرفت فلورا للمرة الأولى ما يمكن أن تعنيه كلمة ترف. ساعدهما سائق سير فرانك لانجاز الاجراءات، ثم عهد بهما الى قبطان الطائرة، وهو شاب فرنسي، فراح يدلّهما على الطريق التي تأخذهما الى المدرج حيث رأت فلورا طائرة، عنابية اللون، ذات شكل متناسق. وراحت تتساءل كيف يملك هذه الطائرة انسان واحد. وقامت مضيفة بمساعدة ألآن على تسلّق سلم الطائرة وأدخلتهما بعد ذلك الى غرفة فاخرة وواسعة، تسع ثمانية أشخاص. مقاعدها من الجلد الثمين، وفي الأرض سجادة عنابية سميكة. وبعد أن اطلق زفرة ارتياح، سقط

ألآن في مقعده وأمر المضيفة:

«عندما تقلع الطائرة، احضري لي شيئاً اشربه.»

«بكل تأكيد، يا سيدي. وهل ترغب السيدة في شيء، هي ايضاً؟»

السيدة! الصدمة أفقدت فلورا النطق. ولأول مرّة فهمت أنها دخلت الى حياة ألآن بصورة نهائية. كانت المضيفة تنتظر بصبر. لكن صوت ألآن الملح انتزع المرأة من حلم اليقظة وسألها طالباً منها جواباً سريعاً:

« فلورا؟ اين أنت؟ لماذا لا تردّين؟»

«اني هنا، بقربك، يا ألآن، كما سأظل دائماً.»

وراء النظارات السوداء تصعب قراءة ما في عينيه، لكن عندما استرخى في مقعده، رأت فلورا ابتسامة بطيئة ترتسم على شفتيه.

وبدورها استرخت، وحلّ مكان القلق الذي يعتريها نوع من الارتياح. إنها سفرتها الأولى واطلالتها الأولى على عالم جديد يبدو مليئاً بالوعود المدهشة والساحرة. وخلال الرحلة كانت تحدّق من خلال نافذة الطائرة. وشاهدت شيئاً فشيئاً اختفاء الساحل الانكليزي، الى أن حلّقت الطائرة بين سماء جامدة وبحر هائج. لكن للأسف، بينما كانت تنتظر بفارغ صبر اكتشاف فرنسا، تكدّست الغيوم أمام عينيها، ولمدة طويلة لم تكن قادرة على رؤية المنظر المعروض تحت أجنحة الطائرة.

وعندما جاءت المضيفة لتقدّم لها الطعام اللذيذ، قالت لفلورا، إن الطائرة تحلّق الآن فوق ساحل البحر الأبيض المتوسط وقالت لها بأن الغيوم ستختفي عما قليل وسيكون في وسعها اكتشاف أجمل مناظر المنطقة. ألآن ظلّ صامتاً، لا يتدخل في الحديث. كما رفض أن يمدّ يده الى الطعام واكتفى باحتساء القهوة. وبدأ يتوتر شيئاً فشيئاً مع مرور

الوقت. أخيراً، عندما أعلن الطيار قائلاً:

«نستعد للهبوط، سيدي الكونت.»

شدّت قبضة يده على الفنجان في قوة جعلته يتحطم في يده.

« ألآن! هل جرحت؟»

انحنت فلورا لترى عن كثب ماذا حلّ بيده، لكنه ترك حطام الزجاج يتناثر ثم وضع يده المتشنجة داخل جيب سترته. وقال بلهجة آمرة:

«لا شيء.»

كان وجهه خالياً من اي لون والعرق يتصبب على جبينه.

«أرجوك. لا تتصرّفي في تكلّف.»

لم يتسن لها الوقت للمناقشة، اذ وصلت المضيفة لتتأكد من وضع أحزمة الأمان. لكن قلب فلورا هبط بسرعة مع هبوط الطائرة التي ستعيدهم الى الأرض من جديد.

كانت على وشك الانهيار فلم تنتبه الى حديقة البناء الأنيق حيث هبطت الطائرة. لكنها شاهدته من بعيد وقالت لنفسها إن مالكي هذا المكان أشخاص محظوظون وأثرياء. ثم جلست مع ألآن في المقعد الخلفي لسيارة الليموزين الفخمة. وكانت السيارة تسير بسرعة كبيرة من خلال المناظر الخلابة التي لم ترها من قبل إلاّ على شاشة السينما. الى يسارها، وبعيداً، تنتصب الجبال المغطاة بالثلوج، والى يمينها البحر الأزرق. وكانت الطريق تتعرّج بين التلال المزروعة صعتراً ووزالاً ومردقوشاً وأكليل الزهر. منازل صغيرة مختبئة حتى سقفها داخل غابات الصنوبر، ومجاري المياه الضيقة تسيل في أعماق الوديان. ومجموعة عطور تتشابك متناسقة لتؤلف أريجاً لا يمكن أن يصنعه احد.

إنها بحق كالجنة بما في الكلمة من معنى. وكانت السيارة تمر من وقت الى آخر، أمام فيلّلات جميلة مبنية في وسط الحدائق الرائعة حيث أشجار النخيل والزهور الغريبة. وفي كل مكان أشجار السرو والشربين، تنتصب عالية كأنها تلتصق بالسماء.

كانت فلورا ترغب في أن تصرخ باعجاب أمام كل منظر جديد، لكنّ ألآن كان يبدو كئيباً، متوتراً، مما أثبط من عزيمتها وحيويتها. فظلّت ساكتة، مكتوفة اليدين، تحتفظ لنفسها بتأثير المناظر الساحرة عليها.

وما ان خفّت سرعة السيارة لتدخل بين جدارين من الحجارة الثقيلة المشبّكة بقضبان الحديد، حتى عادت فلورا الى الواقع في عنف جعل قلبها يقفز من مكانه. هل هذا حقاً منزل ألآن...البناء الضخم الذي يتراىء لها من بعيد يوحي بأنه قلعة. ومع مرور الزمن، اكتسبت اسواره لوناً عسلياً، لكنه لم يفقد شيئاً من عظمته. القسم المتوسط المستطيل، يلتصق بالزوايا الأربع لأبراج متصلة. ولن تستغرب فلورا إذا رأت الحراس في بذلاتهم الرسمية يقدمون اسلحتهم، أو اذا سمعت طلقات المدفع تحييّ وصولها. ولما اقتربت السيارة راحت فلورا تميّز مجموعة من الناس متجمعين في الساحة المتوسطة وعلى بعد بضعة امتار حاجزان من الرجال يحملون أبواقاً. وما أن ظهرت السيارة، حتى أعطيت الاشارة، واذا بالرجال يعزفون لحناً حماسياً على شرف الكونت وزوجته الشابّة. كل هذا الاحتفال كان كبيراً وتقليدياً لدرجة أن فلورا اعتقدت أنها انتقلت الى القرن الثاني عشر. لم تعد تستغرب تصرفات ألآن. إن تعجرفه اللاواعي ليس ناتجاً عن غروره، إنما هو نتيجة طبيعية لتربيته.

أصوات الأبواق جعلت ألآن ينتصب. راحَ يشدّ على فكيه ويحاول استعادة برودة اعصابه أمام التجربة التي تنتظره. منذ سنتين وهو غائب عن القصر. كل هذا الوقت أمضاه في المستشفى وكان يصرّ على عدم العودة قبل استعادة بصره. لكنه قرّر أخيراً التخليَ عن امنيته وكبريائه. كان قلب فلورا ينزف شفقة عليه، لكنها رفضت أن تظهر انفعالها، لأنها لم تنس الاهانة التي تعرّضت لها في الماضي. لذلك كبتت قلقها وقالت بهدوء:

« ما هذا الاستقبال، يا ألآن! انه لشيء عظيم أن ينتظر عودتك هذا الجمع الغفير من الناس.»

لاحظت مجموعة صغيرة تقف على درج مدخل القصر.

«أعتقد أني ارى والدتك. تبدو نافدة الصبر ومتلهفة.»

«ومن معها.»

طرح السؤال في صوت مبحوح، فحدّقت فلورا جيداً في هذه المجموعة الصغيرة. وقرب شبح المرأة المسنّة النحيلة، وقف رجل يصغر ألآن بسنوات قليلة، وفتاة شابة. كانت فلورا على وشك أن تصفهم لزوجها، عندما خفّفت السيارة سرعتها وتوقّفت. قفز السائق من مقعده ليساعدهما على النزول.

صرخة كبيرة تعبّر عن الفرحة خرجت من الحضور. وفي احترام وضعت فلورا يدها تحت ابط ألآن لتساعده في الدخول الى المنزل، وفوجئت لقبوله مساعدتها من غير أن يكفهرّ وجهه أو يقطب حاجبيه. وللمرّة الأولى، فضّل تحمّل تدخلها بدلاً من اثارة السخرية اذا تعثرت قدميه أمام هذا الجمهور الغفير.

واندفع الموجودون نحوه. النساء والفتيات، معظمهن يرتدين الثياب

السوداء والمناديل اتقاء لحرارة الشمس. الأولاد ذوو البشرة السمراء يمسكون بأيدي آبائهم. العجائز يخلعون قبعاتهم احتراماً للكونت الشاب الذي، لا شك أن الجميع يحبونه.

وتألقت ملامح ألآن بابتسامة عفوية حقيقية شاهدتها فلورا للمرّة الأولى. كان يرد على كل صوت بأسم الشخص الذي يناديه، كأنه يرى ويعرف كل واحد بمفرده. اندست بين الجمع امرأة مسنّة حتى وصلت الى المقدّمة واذا بها تتمسك به وهو مار بقربها. كانت الدموع تنهمر بغزارة على وجهها الأسمر المتجعد وصرخت تقول:

«آه، يا ولدي ألآن المسكين.»

كانت فلورا تفهم بصعوبة ما تقوله هذه العجوز، لكن لم يكن هناك مجال للشك في العاطفة التي كانت تعبّر عنها، وتخوّفت فلورا من ردّة الفعل التي يمكن أن تصدر عن ألآن حيال هذا. لكنّه مدّ يده باحثاً عن يد المرأة العجوز ولمّا شدّ عليها، أجاب بلطف:

«شكراً، يا عجوزتي فيكتوريا، شكراً لتعاطفك ومحبتك.»

وما لبث ان تحرّر من قبضتها وأكمل سيره.

ولمّا وصلا الى مقربة من عائلة ألآن، كانت فلورا تحبس دموعها. ولحسن حظها، وقبل أن تلفت انتباه زوجها أن عليه تسلّق السلالم، نزل الشاب الذي كان يقف قرب الكونتيسة الأم السلالم مسرعاً:

«اهلاً وسهلاً، يا ألآن! لقد طال غيابك!»

وتأبّط ذراع ألآن ليساعده على تسلّق الأدراج.

وما ان سمع ألآن صوت الرجل حتى غابت الابتسامة عن شفتيه وأجابه بلهجة تدل عن حقيقة عواطفه تجاهه:

«الفأر لا يحب عودة الهرّ، يا لويس. إلاّ اذا اعتقدت أن ذكائي ذهب مع نظري؟»

«أهكذا، يا ألآن، تردّ على تحية ابن عمك؟»

انحنى الرجل امام فلورا، ولاحظ عينيها الكبيرتين وتجعيدة فمها الحزينة. وبعد تقطيب حاجبه، هزّ كتفيه وابتلع خيبة أمله وقال مبتهجاً:

«تبدو زوجتك تحت تأثير الصدمة. أرجوك يا ألآن أن تطمئنها. قل لها إني لست انساناً سيئاً كما ستعتقد عندما سمعت كلامك.»

قام ألآن بتقديم نسيبه في لهجة يغلب عليها الاحتقار:

« فلورا، أقدّم اليك ابن عمي لويس. اذا كنت انسانة عاقلة، فلا تكترثي بما يمكن أن يقوله. لا شك في أنه رجل مسالم، لكنه لن يتردد في إضاعة وقتك واعتماد الكذب ليبرّر تصرفاته».

ألقت فلورا نظرة متعاطفة نحو لويس، لكنها أدارت رأسها بعد تحية مقتضبة، اذ إنها شعرت باحراج أمام ابتسامته الوقحة. وشعرت بارتياح عندما وصلا أمام والدة ألآن. كانت جامدة تتبع بنظرها كل خطوة من خطوات ابنها كأنها تشجعه بسكوتها ألاّ يتعثر قبل وصوله اليها. وكانت فلورا مقتنعة بأن والدته على وشك التخلي عن وقارها والاندفاع أمامه ومعانقته، لولا وجود المشاهدين العديدين. لكن، في مثل هذه المناسبة، كانت تكبت اندفاعها الغريزي وتتصرّف كما يجب أن تتصرفه الكونتيسة الأم.

وشعرت فلورا ببرود لدى تفكيرها بأن الجميع ينتظرون منها هي مثل هذا التصرف الارستقراطي. فهي تعرف أنها غير قادرة على تحمّل عبء بهذا الثقل.

«ولدي الحبيب!»

مدّ ألآن ذراعيه نحو والدته التي اقتربت منه. وتعانقا طويلاً ثم أبعدها عنه واستدار نحو فلورا، التي اسرعت تضع يدها الباردة في يده.

قال ألآن ببساطة:

«امي. لا شك أنك مشتاقة للتعرف الى زوجة ابنك. فلورا، هذه امي. آمل ان تحبّيها بقدر ما أحبّها أنا.»

كانت لحظة حارّة ومؤثّرة. وبرغم اضطرابها، تنبّهت فلورا للزفرة الناقمة التي أطلقتها الفتاة التي كانت في انتظار عودة ألآن. ورأت انه هو أيضاً سمعها، اذ انقبض فجأة واستدار.

وهنا لم تعد فلورا تتذكّر ماذا قالته لوالدة زوجها، ولا حتى ما ردّت به حماتها. كانت تعرف أنهم استقبلوها بحرارة وحنين وكآبة، وتبينّ لها أنه من السهل عليها أن تحب هذه الكونتيسة المسنّة، لكن ذهنها كان منهمكاً بتفاصيل اللقاء بين ألآن والفتاة التي أحدث وجودها تأثيراً كبيراً عليه. كانت الفتاة تتمتّع بجمال فاتن، سمراء داكنة، شفتاها مليئتان وناعمتان كالمخمل. كانت قامتها قصيرة وترتدي فستاناً أنيقاً، أبيض اللون، ولا شك أنها اشترته من دور الازياء الرفيعة في باريس. كانت تتفرّس في وجه ألآن، بدون اخفاء ذعرها وغضبها أمام خبر زواجه المفاجىء لها. دام الصمت وقتاً طويلاً قطعه ألآن قائلاً:

«انت سولانج؟»

تشنّجت فلورا وهي ترى في صوت ألآن بعض القسوة وتابع يقول في انشراح يشوبه الكدر:

« سولانـج، أحـب أن أقـدّم اليك زوجتي...الكونتيسـة تـريفيل الجديدة!»

إنها اللحظة التي كان ألآن ينتظرها! لأسباب تجهلها، كانـت الفتاة الجميلة هي الضحية الي ستسقط فريسة انتقامه!

٥ ـ حادثة في قصر الزهور

كانت فلورا تتأمل باعجاب خزانة الثياب الضخمة التي تحتل جدار الغرفة بكامله. فقد علَقت آخر فستان لها، وكانت تبعد الفساتين عن بعضها ومع ذلك ظلّ الفراغ واسعاً يزيد من فقر جهازها. أقفلت الباب وهي تهزّ كتفيها، مقررة أن تبعد عنها كل الأفكار التي تضايقها، اصلها البسيط وعدم قدرتها على الظهور في مستوى العظمة التي تحيط بها، ابتداء من اليوم، حول عائلة ألآن، ووالدته الحارة والودية والأرستقراطية، وابن عمه الجذاب وأخيراً صديقته، سولانج شيسنيه، التي قامت بجهد كبير لتخفي نقمتها، والتي كانت عيناها الغامضتان تكذّبان الكلمات اللطيفة التي اضطرت أن تنطق بها رغماً عنها.

ومن جرّاء تفكيرها بكل هؤلاء الأشخاص شعرت برعشة تخترق جسمها. الجميع سيتناولون طعام العشاء معاً. وعندما اقترحت الكونتيسة الأم على فلورا أن تأخذ قليلاً من الراحة قبل العشاء،

استقبلت الفتاة الفكرة بفرح، لكنّها شعرت بأن عقلها لم يتوقف عن التفكير وهذا لن يساعدها على الاستمتاع بالراحة المرجوّة. فأدارت نظرها عن الأثاث الفخم، واقتربت من النافذة وحاولت استعادة توازنها، وراحت تتأمل الطبيعة. لكن، في الخارج كما في الداخل، كان الترف نفسه، مما جعلها تحن الى منزلها العائلي وطراوة المرج الانكليزي. كانت على وشك البكاء عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب. وبسرعة، وضعت يدها على عينيها قبل أن تجيب:

«ادخل!»

كانت تنتظر أن ترى إحدى الخادمات، لكنها بوغتت عندما انفتح الباب وظهرت والدة ألآن.

«كونتيسة! لم أكن اتصوّر أن يكون الطارق انت...»

احمرّ وجه فلورا مثل تلميذة ارتكبت ذنباً ثم تابعت كلامها وهي تقدّم لها كرسياً.

«ارجوك، أن تجلسي.»

وفي ابتسامة أنيقة، جلست الكونتيسة. كانت ترتدي فستاناً رمادياً مخرماً، يشع الماس من عقدها ومن خواتمها العديدة. كانت تجسّد الترف الذي يجعل فلورا تشعر بعقدة النقص ويزيد من توتر أعصابها.

قالت الكونتيسة بلطف:

«اجلسي يا ابنتي. يجب أن نتحدث، أنت وأنا. إني ادرك بوضوح التوتر الذي تعانينه وتتحملينه. ولأني عرفت أن ذلك يمنعك من الاسترخاء والاخلاد الى الراحة، فكّرت بأن اغتنم هذه الفرصة لأتحدّث اليك. هل هذا يزعجك، يا ابنتي...هل تفضلين أن اذهب واتركك وحدك...»

أجابت فلورا في حماسة:

«آه، لا. بالعكس. أهلاً وسهلاً بك، يا كونتيسة!»

انحنت المرأة العجوز وربّتت على يدها وقالت في تردد:

«اذاً في البداية، لنتفق على الطريقة التي ستنادينني بها...يا ابنتي العزيزة، أحب ان تناديني أمي كما يفعل ألآن. ارجو أن تعجبك هذه الفكرة...»

فوجئت فلورا واتسعت حدقتا عينيها. هذه المرأة العجوز الأرستقراطية تخشى أن يساء استقبالها. وهذا ما تخشاه كل حماة! انزلقت فلورا من مقعدها وركعت امام الكونتيسة. كانت تبتلع دموعها، رفعت عينيها وقالت ببساطة:

«هذا لطف منك، يا امي، أن تتيحي لي هذا الشرف الكبير!»

وللحظة كانت الكونتيسة على وشك الاستسلام لأنفعالها، لكنّ سنوات التدريب المنظّم ساعدتها، فشدّت على شفتيها المرتجفتين وقالت في صوت خال من الجرأة:

«هل تعرفين أني اتوقع أحداثاً سعيدة مع وصولك الى هنا كزوجة لألآن... مثلاً، ألم تلاحظي أن اسمك مناسب جداً...»

قالت فلورا مبتسمة:

«لأني ادعى فلورا أي زهرة، ونحن في قصر الزهور؟ نعم إنها حقاً صدفة غريبة.»

وأكملت الكونتيسة وهي مرتجفة اليدين:

«وفوق ذلك، واليوم، مضى على حادث ألآن سنتان بالضبط، ولا شك أن عودته كانت مثيرة لو لم تكوني بقربه وتخففي عنه كل هذا الألم.»

اختفت ابتسامة فلورا. كان ألآن في الحقيقة وحيداً. وكانت

تتعـذب اذ اكتشفت أنه نادراً ما يبوح لها باسراره. لا شك أنه يرغب في كتم كل الحوادث الماضية. ومع ذلك، فعليهـا أن ترد على بعض الاسئلة وإلاّ تعتبرها العائلة وأصدقاء زوجها عديمة الاحسـاس، هم الذين يتوقعون أنها على علم بكل ما يجري في الحاضر ومـا جرى ماضياً.

سألت على مضض:

«كيف...كيف وقع الحادث، يا امي؟»

تراجعت الكونتيسة قليلاً، لكن تعبير فلـورا القلـق والعـذاب الظاهر في عينيها الزرقاوين ونظرتها التوسلية، كلّهـا دلّـت على أنّ الفتاة تريد جواباً على سؤالها. تغلّبت المرأة العجوز على حسرتها وأجابت:

«لا أحد، حتى اليوم، يعرف بالتأكيد كيف حصل الحادث. كان ألآن يعمل في المقطرة. ويقوم بتجارب عديدة على عطر جديد صنعه. وكان يبدو فخوراً بهذا الانجاز بالذات.»

وأمام نظرة فلورا المفاجئة، شرحت تقول:

«عائلتنا، منذ قرون عديدة، تعمل في صناعة العطور، يا ابنتي العزيزة. لا شك أنك سمعت عن عطور تريفيل؟»

تذكّرت فلورا القارورة الصغيرة لعطر غالي الثمن قدّمته لها مرّة صديقتها جينيفر في عيد ميلادها. كانت تستعمله بدقة حتى القطرة الأخيرة، كما أنها حافظت على القارورة الفارغة في درج خزانتها لتعطّر مناديلها.

أجابت فلورا:

«بكل تأكيد. الجميع يعرفون عطورات تريفيل!»

هزّت الكونتيسة رأسها في رضى وتابعت تقول:

«لدينا شهرة كبيرة نستحقها، على ما أعتقد. إن ألآن خبير وماهر. وبالتأكيد، لديه سنوات عديدة من الخبرة وحياة أمضاها في اتصال دائم مع هذه الصناعة. ولويس كذلك، لكنه لا يملك نصف مؤهلات وقدرة ألآن البارعة. لأبني، حاسة ممتازة ومرهفة ونادرة، تمكّنه من كشف جميع الفوارق الدقيقة الموجودة في العطر وتعيين كل نوع وعنصر يتألف منه هذا العطر. لكن موهبته الحقيقية هي قدرته على خلط خلاصة كل زهرة بأخرى وتنويعها، من أجل انتاج عطورات جديدة متناسقة. حتى أنّ الخبير الماهر لا يمكنه معرفة مصنوعات العصر إلاّ بصعوبة كبيرة. نعم إن غياب ألآن أثّر كثيراً على هذه الصناعة. صحيح أن لويس ما زال هنا، لكنه لا يملك الشرارة الخاصة بالعباقرة. انه يقوم بجهد كبير، لكنه ما زال صغيراً ولديه الميل في البحث عن ملذات اخرى خارج العمل...وحديثاً، كان ألآن، هو ايضاً، غير مبال...وغير مكترث...»

توقّفت عن الكلام وقامت بحركة صغيرة كأنها تريد التخلّص من ذكرى معينة، ثم أكملت في صوت حازم:

«يجب أن تطلبي من لويس أن يأخذك لزيارة المعمل، يا فلورا. يعرف تماماً أن يكون رفيقاً رائعاً ولطيفاً، واني متأكدة تماماً انك ستجدين نفسك مهتمة بالأمر.»

قالت فلورا:

« لا شك في ذلك، يا أمي.»

هذه الأفكار كانت تقلقها بعض الشيء، لأنها كانت تخشى ألاّ يوافق ألآن على هذا التخطيط. لكنها لم تر أي عذر مقبول للرفض.

قالت الكونتيسة:

«سوف تذهبين في الغد. دعيني أكلّم لويس بالأمر.»
قالت فلورا في هدوء:
«كنت ستحدثينني عن حادث ألآن...»
لكن الكونتيسة قالت وهي تهزّ كتفيها بخفة:
«ليس هناك ما أضيعه . لقد جاء أحد العاملين في المصنع الى القصر ليخبرنا أنّ ألآن أصيب في عينيه من مادة الأسيد، بينما كان يعمل في مختبره. يستعمل الأسيد لتنظيف الآليات، حتى لا تفسد التجربة تجربة أخرى... وسولانج نفسها، التي كانت تعمل معه لم تتمكّن من تزويدنا بالتفاصيل الدقيقة عمّا حدث آنذاك، منذ سنتين تماماً. أما، بالنسبة الى ألآن، فقد رفض أن يحدّث أحداً بالأمر.»
شعرت فلورا بقشعريرة تعبر جسدها، لكن قبل أن تتمكّن من طرح اسئلة اخرى، نهضت الكونتيسة وقالت بحنان:
«سوف نتحدث عن ذلك مرّة اخرى. يجب أن أرتاح قليلاً، قبل موعد السهرة.»
توجّهت نحو الباب، ثم توقّفت:
«يا ابنتي، فلورا، جئت لأقول لك كم أنا سعيدة لأنك قبلتِ ألآن زوجاً لك. إن الحياة، بالنسبة اليك، ربما تكون...صعبة...لكن، أؤكد لك، أنك تصرّفت جيداً. حتى ولو أظهر بعض الأحيان قسوة وأبتعد بعض الشيء، فانك، بكل تأكيد، ضرورية لسعادته... وهو ضروري لسعادتك أنت أيضاً. أرجوكِ أن تقبلي بركتي وامتناني.»
ظلّت فلورا جامدة تفكّر بكلمات الكونتيسة بعد ذهابها. لقد عبّرت عن عاطفتها بصراحة وصدق وأفهمتها مدى الحيرة والارتباك حيال التغيير الذي طرأ على ابنها. وفلورا نفسها، لم تلاحظ في لقائها

الأول بالكونت هذه الاناقة وهذا اللطف وهذه الطلاّقة التي تسحر المرأة. وضعت يدها على حنجرتها التي كانت تؤلمها. انها مقتنعة بأن ألآن سيصبح هكذا من جديد، إذا تخلّص من مزاجه الحزين الذي يسيطر عليه. لكن، هل سيلجأ اليها، فيما بعد، هي الفتاة البسيطة، ابنة الكاهن، ليشاطرها فرحه واحلامه أو يلجأ الى سولانـج بسهولـة أكثر؟ فجأة شعرت بالحرارة تخنقها، فقرّرت أخذ حمّام سريع فاتر قبل موعد العشاء.

انها و ألآن يتقاسمان الجناح ذاته، فهي تشغل الغرفة الواسعة، وهو يشغل الغرفة الصغيرة. ويفصل بين الغرفتين حمّام مشتـرك. عندمـا دخلت الحمام لم تسمع أية حركة داخل غرفتـه. دخلـت الى الحجـرة الشفّافة وفتحت الحنفية وراحت تتمتع بالماء. ولم تقرّر إنهاء الحمام إلاّ حين شعرت بالبرد يخدّرها. فتناولت منشفة الحمام وراحت تدلّك جسدها بهمة ونشاط فكانت منهمكة الى درجة أنها لم تسمع الباب ينفتح، ولم تحسّ بوجود ألآن إلاّ بعد أن رفعت رأسها ورأته. كان مرتدياً مئزر الحمام، ويتقدّم بتمهل نحو الحنفية. واذا بفلورا تضع يدها على فمها لتخنق صرخة كادت تنطلق، لكنه سمعها وقال بنبرة قاطعة:

«من هنا؟»

لم ترد. ارتبكت من الرهبة، برغم معرفتها أنه غير قادر على رؤيتها.

«من هنا؟ أريد جواباً في الحال»

تقدّم خطوة الى الأمام لكنه تعثر إذ ارتطم بكرسي صغير. فركضت تتمسك به كيلا يفقد توازنه. فتمسك بها. ومن جراء هذا الاتصـال الجسدي الأول شعرت أنها لم تعـد تلك الفتـاة الصغـيرة الخجولـة والحالمة، لكنها امرأة، ترتعش فرحاً ورغبة لدى لمس زوجها لها.

قال بصوت خفيض:

« فلورا!»

كان على وشك إبعادها في غضب، لكنها تلعثمت قائلة:

«أرجو أن تسامحني، يا ألآن.»

وتذكّرت بصعوبة أن العينين السوداوين المحدقتين بها لا يبصران في الواقع.

«حاولت أن أقفل الباب بالمفتاح، لكني لم أتمكن من ذلك. اعتقد أن القفل معطل...»

كان جامداً لا يتحرك. وما زال متمسّكاً بها، يضمها بشدّة نحوه. وفي عينيه الخاليتين من النظارات، يلمع نور خفيض وعلى فمه ترتسم ابتسامة غامضة. وبهدوء، جذبها نحوه، رفع خصلات شعرها الخفيفة المجعّدة فوق جبينها. راح يتكلم في صوت حنون، ما تعوّدت سماعه:

«قال لي لويس إنك امرأة تتمتعين بجمال خارق. قال بالحرف: إنها وردة انكليزية رائعة.»

كانت ترتجف بين يديه، غير قادرة أن تردّ عليه وتشعر به قريباً منها.

وتابع كلامه:

«هل تسمحين لي بأن احكم على ذلك بنفسي؟ إن وضعي سيء، لست قادراً على أن أرسم في عقلي صورة زوجة سيحسدني عليها كل أصدقائي، كما قال لويس!»

لم تتراجع فلورا عندما وضع ألآن يده على وجهها. وبنعومة وببطء كانت يداه تمران على جبينها المالس وفوق عينيها، تلمسان رموشها ثم تمتدّان الى خديها.

همس وهو يردّد كلمات لويس:

«عينان زرقاوان بريئتان، تشبهان أزهار البنفسج، باتساعهما ونعومتهما المخملية. شعر كثيف وأشقر كالذهب. شفتان تشبهان الورد.»

كانت فلورا تتخبط بين الخوف اضطرام العاطفة. كان النبض يقفز في اذنيها، وشعرت بنفسها فريسة أحاسيس غريبة تزداد تطلباً كلما امتدت أصابع ألآن حول عنقها المرهف لتتوقف مطولاً على كتفيها. وصارت كالمجنونة عندما انزلقت المنشفة عن جسمها. وفي تلك اللحظة بالذات أظهر ألآن بدهشة مخنوقة أنه غير قادر أن يسيطر على نفسه أكثر. وبقوة شد زوجته نحوه وعانقها. ومن كل أعماق قلبها المحب، كانت فلورا تشاركه هذا الاحساس. كانت غارقة في حبها، وفي الوقت نفسه كانت تسمع صوتاً يقول لها إن هذه الرغبة الجامحة التي يتظاهر ألآن بها، لم تكن موجّهة اليها، إنما لشبح من الماضي. لكنها رفضت أن تصغي الى ذلك الصوت. من كل قلبها، من كل روحها، كانت تحب ألآن، حباً عميقاً، الى درجة أنها كانت مستعدة لتبادله كل عواطفه.

وفجأة، ابعدها عنه وقال بصوت لاهث، وفم متقلص:

«أرجوك أن تغفري لي تصرفي هذا. ما كان يجب أن يحصل ما حصل!»

راح يحاول استعادة برودة أعصابه:

«لا أجد عذراً لمثل هذا التصرف. إنه جدير بالاحتقار! فلورا، هل تسامحينني؟»

فوجئت اذ رأت الكآبة على وجهه، فقالت:

«ليس لك أن تعتذر، يا ألآن.»

قامت بحركة لتضع يدها حول عنقه، فتمسّك بمعصميها، فصرخت:

« ألآن! لا داعي للاعتذار، أنا زوجتك!»

جوابه البارد أطفأ في داخلها كل أمل:

«كان لي هدف من الزواج منك، لكنه لم يكن هذا الهدف. إني في حاجة الى وجودك، لكن، يا إلهي، لا أعرف لماذا!»

كان يبدو مرتبكاً وغير منطقي وتابع:

«بدأت أفهم أنك ارتكبت غلطة كبرى بالسماح لك بأن تتزوجي نصف رجل. تحسي،عندما عرضت عليك الزواج، كنت أعتقد أنسي أخدمـك بذلك.»

«تخدمني؟»

وبعد صمت مزعج، عاد يقول في تردد مضطرب:

«سأكون صريحاً معك. كنت دائماً صادقة معي وسأجابهك بالمثل، على الأقل.»

تصلّبت وتماسكت في انتظار اعترافه. وفي لا وعي، لاحظت حركات يده المرتعشة وتشعث شعره. لكنّها ضبطت نفسها لتتمكن من استيعاب ما سيقول:

«لأسباب عدّة، كنت في حاجة الى زوجة، وكنت أنت المرشّحة المثالية. عندما سألتك أن تتزوجيني، كنت أعتقد أنك امرأة في سن متقدمة، وسيدة مطيعة لا ترفض متطلّبات والدها، وليس لها أمل بالخروج من الوضع الشاق الذي كانت متورطة فيه.»

رفع يده ليفرض عليها الصمت، عندما سمع آهة تعجب أطلقتها فلورا وأضاف بعنف:

«لم يقل لي أحد أنك فتاة شابة وجميلة، قادرة على جذب الرجال. لا أحد، قبل لويس... بعد أن فات الأوان. كنت اعتقد بأن صدقك عائد الى تربية قاسية. لو عرفت أن سبب ذلك أنـك ما زلـت شابـة، لما

استغليت ثقتك وارادتك الطيبة. بالنسبة اليّ كنت الرفيقة الممتعة، التي لم أكن احتاج معها الى ارتداء أي قناع. أرجوك أن تصدقيني. كنت مندهشاً ومضطرباً عندما وصفك لويس. اعتقدت أولاً أنها مزحة من مزحاته التافهة، ولهذا السبب تصرّفت الآن بهذا التصرف المؤسف. كان يجب عليّ أن أعرف!»

شعرت فلورا بالخدر، لكنها تمكّنت من اطلاق ضحكة سريعة قبل أن تسأل:

«اذا كنت تعتبرني عانساً حقاً، فلماذا اردت أن تتزوجني؟»

ومن خلال سحابة الدموع المغرورقة في عينيها، رأته يهزّ كتفيه ويقول:

«يمكنك أن تعتبريني جباناً، اذا أردت. لكني كنت أبحث عن انسان أحتمي به من العواطف الجياشة التي تنتظرني هنا لدى عودتي. كما كنت بحاجة الى عينين تريان وتصفان لي مفصلاً كلّ ما يجب أن أعرفه. وكنت أريد انساناً لا يموّه الحقيقة أو يقنّعها. لكني أرى الآن ان الترف والمال وكل ما يمكن أن أقدّمه اليك بديلاً، ليس ذا أهمية بالنسبة الى المرأة التي أتصوّرها...»

ثم أكمل يقول:

«لكني لا أفهم، لماذا قبلت عرضي. وما هو السبب الذي تقبلين الزواج من أعمى؟»

شعرت فلورا بقلبها ينتفض في صدرها؟ من الأفضل أن تتركه يعتقد أنّ هناك دوافع مثيرة وذات أهمية. أجابت في لهجة حازمة محاولة السيطرة على ارتجاف فمها:

«ربما كان حكمك عليّ خاطئاً. إن قريتي غيلينغهام بمثابة سجن

حقيقي وكنت دائما أحلم بالفرار والعيش بعيداً. لذلك عندما اقترحت عليَّ أن تتزوجني وتأخذني معك الى فرنسا، اردت ألاَ ادع هذه الفرصة تفوتني. لذلك ليس من الداعي أن تحكم على نفسك او على أعمالك، يا ألآن. لقد اشتريتني وأنا كنت مستعدّة كل الاستعداد لأبيع نفسي. الزمن هو الوحيد الذي سيقول لنا من منّا الذي قام بصفقة أفضل.»

كان انف ألآن الكبريائي يرتعش. كان يبدو مرتبكاً الى درجة أنه لم يجد أي جواب. لكن سرعان ما ابتسم ابتسامة ساخرة واستعادت عيناه رونقهما الداكن. ثم استدار وتمتم بتحية سريعة وخرج من الباب تاركاً فلورا وحيدة. راحت تبكي وترتجف من البرد في هذه الغرفة الفارغة.

٦ ـ سؤال بلا جواب

عندما يصل الانسان الى قمة العذاب، يتوصّل الى معرفة الخدر المفرح والاحساس به. وبعدما استعرضت فلورا كلمات ألآن القاسية، وعندما اضطرت الى الاعتراف بأنه لا يعني لها الكثير، وبأنه لم يطرح أي سؤال حول منظرها الخارجي أو حول عواطفها، توصّلت الى الاحساس بذلك الخدر الذي ساعدها على تمضية الليل ولو بصعوبة.

بعدما خرجت من الحمام، جلست على حافة سريرها وراحت تفكّر في السلوك الذي يجب أن تتبعه كي لا ينزعج الاشخاص المعنيين. لقد طرحت بعيداً فكرة العودة الى انكلترا، اذ لم تكن تريد بأي ثمن أن ترى والديها يتعذّبان من أجلها.

الكونتيسة الأم... يجب هي أيضاً، ألاَ تعرف عمق الهوة التي تفصل ابنها عن عروسه الشابة. وشدّد ألآن على هذه النقطة بالذات عندما ورد الحديث حول الاقامة في جناح مشترك. فقد أفهمها أن والدته

سعيدة جداً بزواجه ولا شيء يجب أن يعكّر هذه السعادة. وقبلت فلورا أن تلعب هذا الدور في وجود الكونتيسة. ولذلك يجب عليها أن تنفّذ وعدها، حتى إذا كان ذلك يعني، أنّ عليها البقاء في القصر الى الأبد، او على الأقل، الى فترة من الزمن يوافق عليها ألآن بنفسه. ومع ذلك، اتخذت قراراً حازماً، لن تعود، من الآن فصاعداً، تلك المرأة الوديعة التي تطيع كل نزواته، ولا تلك المرأة المستسلمة التي تقبل كل كلماته القاسية. ستكون لها حياتها الخاصة، هي أيضاً. صحيح أنّ مستقبلها يبدو صعباً، لكنها لن تدع زوجها يجعله مستحيلاً.

ارتدت ملابسها استعداداً للعشاء، ونزلتَ على مضض لمجابهة محيطها الجديد. إنّ اتساع المكان وحجمه الضخم يرعبانها. رفعت عينيها الواسعتين نحو السقف العالي. نوافذ طويلة وضيقة حيث تدخل أشعة الشمس التي تنير الأثاث الخشبي المنحوت بفن رفيع. هنا وهناك تجد المشاكك المحفورة في الجدران والتي تحتوي على التماثيل الفاخرة والدقيقة. درابزين الدرج الواسع المصنوع من الحديد المنحوت بدقة كما ينسج العنكبوت بيته. وفي الطابق الأرضي كان البهو أيضاً مبلّطاً بالرخام، ذي المربعات الوردية والبيضاء. وتطل على البهو أبواب عدّة. رأت فلورا أنّ أحد هذه الأبواب مفتوحة، فاتجهت صوبه.

الغرفة التي دخلتها كانت غرفة المكتبة. جدرانها الأربعة مكتسية بالكتب المجلّدة بمختلف الألوان والأحجام والممتدة من السقف حتى الأرض. سلالم نقالة متحركة تسمح بالوصول الى الرفوف العالية. وفجأة سمعت صوتاً:

«آه، الزهرة الجميلة! اني سعيد أنك جئت مبكّرة. سوف يتسنى لنا التعرّف عن كثب».

فوجئت فلورا، لكن لويس ابتسم معتذراً:
«عفواً اذا كنت اخفتك. دعيني أقدّم لك شيئاً دليل الاعتذار».
ردّت عليه بابتسامة عريضة. هذا الرجل جذّاب وعفوي، ومن المستحيل مقاومة سحره.
أجابت:
«شكراً».
توجّه نحو طاولة عليها كل أنواع المشروبات.
«ما رأيك بعصير الليمون؟»
«عظيم».
قدّم لها العصير وهو ينظر إليها في ثوبها الأزرق البسيط الذي حاكته والدتها. كانت بالنسبة اليه انتعاشة جديدة. وبينما كان يلقي نظره على فمها المرتجف، وعينيها الجميلتين الخائفتين، فهم كيف تفشل المرأة من الهرب، وكيف تخاف أن تعترف، تترك لعينيها ويديها وشفتيها شرف الاعتراف.
كانت تحتسي مشروبها في جرعات صغيرة وتتساءل متى سيأتي الآخرون. نظرات لويس الوقحة لم تزعجها كما كان يتمنّى، لكن احتمال لقاء جديد مع سولانج أزعجها.
أعلن لويس بنبرة حادّة تشبه نبرة ألآن:
«لا شك أن سولانج تفعل المستحيل كي تبدو بمظهر رائع تتحدّى فيه كل الاشاعات التي تهدّد مركزها كأجمل امرأة في المنطقة...»
حدّقت فلورا في عيني لويس وقالت بهدوء:
«انكِ تقصد ألآن بالذات، أليس كذلك؟ اذا كان هناك شيء عليّ معرفته، لماذا لا تكون صريحاً وتتكلم؟»

شعر لويس بانزعاج أمام هذا الصدق البسيط لكنّه سرعان ما قال وهو يهزّ كتفيه:

«الناس هنا، يعرفون أن ألآن وسولانج كانا على وشك الزواج، وربما أنت على علم بذلك أيضاً».

رآها تعض على شفتيها، فسارع يطمئنها قائلاً:

«لا تقلقي. لم يعد ذلك وارداً منذ سنتين. تخلّت سولانج عن الخطبة بعد الحادث بقليل. كان ألآن وقتئذ في المستشفى والجميع وجدوا أنها لم تتصرّف معه كما يجب. ولا أعتقد أن الكونتيسة غفرت لها ذلك. بعد ذلك رفض ألآن أن يسمع أي شيء عن سولانج. لذلك فوجئت اليوم من تصرفه. لقد حاولنا اقناع سولانج بمغادرة القصر قبل مجيء ابن عمي، لكنها أصرّت على أن تكون موجودة لاستقباله. وبالطبع كانت تعتقد أنه سيكون وحده. لقد طلبت مني الكونتيسة أن أعدها بألاّ أخبر سولانج عن زواج ألآن ...»

سألته فلورا:

«هل يعني هذا أنّ سولانج كانت تنوي مصالحة ألآن؟»

أجاب لويس مقطّباً حاجبيه:

«ليس في استطاعة أحد أن يدخل الى أعماق سولانج. منذ سنتين لم نرها في القصر إلاّ نادراً. حسب رأيي، لا شك انها توقّعت نجاح العملية الأخيرة، وقد تكون صمّمت لنفسها شيئاً. جاءت الى هنا منذ أسبوع وقامت بالترتيبات اللازمة لتؤمّن عودة ألآن بطائرة والدها. هل كنت تعرفين ذلك».

هزّت رأسها، فأضاف لويس:

«ربما شعرت بصدمة قاسية لدى سماعها بفشل العملية. وكذلك

صدمت مرّة ثانية لدى اكتشافها زواجكما. وأنا اعتقد أنه السبب الذي جعلها تقرّر البقاء في القصر إنها تعتبر أن ألآن يخصّها وحدها، وبرغم رفضها قضاء الحياة بكاملها مع رجل ضرير. إلاّ أنها لا تستطيع أن تتصوّر أنّ امرأة أخرى خطفت منها ألآن».

ثم أضاف:

«يا فلورا، عليك أن تحذري منها يمكنها أن تكون خطرة. ولن تتردّد من أن تجعلك تدفعين ثمن خيبة أملها».

اصفرّ وجه فلورا. كلمات لويس تكاد تحبط من عزيمتها. لقد افهمها لويس بدون أن يدري موقف زوجها. أراد أن ينتقم من سولانج بزواجه منها. وشعرت بأنها على وشك البكاء. وكادت تسقط لو لم يسارع لويس الى تدارك ذلك في الوقت المناسب. وهنا دخلت سولانج وقالت في صوت ساخر:

«ماذا أرى! هكذا اذاً، يا لويس. انك الآن تمارس مواهبك».

ثم استدارت نحو ألآن وقالت:

«ليتك ترى فلورا ولويس، إنهما في ذروة تفاهمهما».

كانت وجنتا فلورا محمرّتين كالنار وهي تتملّص من بين ذراعي لويس. لم تكن تحدّق إلاّ بألآن، وشعرت بانقباض في قلبها. عندما رأت الغضب في وجه ألآن. وهي وحدها لاحظت انفعاله. وعندما اقترب قال في نبرة خفيفة:

«ماذا بعد يا سولانج. اكملي حديثك. لولاك ولولا تنبّهك اليقظ لكنت مضحكة أمام الجميع».

سقطت الابتسامة من على شفتي الفتاة وشعرت فلورا بارتعاشة تعبر جسدها. إن لويس على حق، سولانج قد تكون عدوّاً خطراً.

وهنا وصلت الكونتيسة. ومنذ دخولها غرفة المكتبة، تنبّهت غريزياً أنّ شيئاً ما يحدث. كان ألآن أول من حيّا والدته.

«آه، يا أمي الحبيبة، انت هنا! والآن يمكننا البدء في العشاء».

عادت اليها بشاشتها وأجابت:

« ألآن! انك لا تتغير. انك توبّخني دائماً على أني متأخرة! لكني سعيدة لعودتك ولذلك أسامحك».

وفجأة سألت سولانج:

«كيف عرفت، يا ألآن، أنّ أمك هنا؟»

«هل نسيت بهذه السرعة، يا سولانج؟»

تبادلت الكونتيسة ولويس الابتسام. فلورا وحدها لم تفهم شيئاً.

قالت سولانج في اشمئزاز واستياء:

«كلا، بالطبع. إن والدتك تتعطّر بالعطر الذي صنعته خصيصاً لها، وأنت شممته حتى قبل أن تدخل الغرفة. انك ما زلت تحبّ هذه اللعبة، أليس كذلك، يا ألآن. وتعتزّ بقدرتك، وأنت أعمى. على أن تعرف متى تدخل أمك الغرفة».

اختفت نظرة الاشمئزاز من عينيها واعترى صوتها نبرة حميمة وقالت:

«لكن هل نسيت يا ألآن، أنك وعدتني بابتكار عطر خاص بي؟ هل كان ذلك العطر الذي كنت تصنعه خلال الحادث، أو أنك اضعت الوصفة؟»

اصفر وجه ألآن. فتقدّمت فلورا نحوه، لكن لويس شدّها من ذراعها. فقال ألآن واسنانه تصطك:

«ليست الوصفة وحدها التي ضاعت، في ذلك اليوم، ويكفي أنـي خسرت نظري لأتحرّر من هذا الوعد، اذا قمت بأي وعد ما!»

كأنه لم يتكلم ولم يتعذب. اذ تقدّمت سولانج منه كأنها تتوسّل اليه. وقالت فلورا لنفسها إن ألآن عاجز عن تأمّـل هذه المرأة الجميلة ذات القوام الممشوق.

قالت سولانج بالحاح:

«يجب أن تتابع تجاربك، يا ألآن. إن موهبتك الأساسية هي حاسّة الشم، وما زلت تملكها، ولم تخسر خبرتك المكتسبـة خلال السنـوات الماضية. ينقصك النظر فقط وأنا يمكنني أن أهبك اياه. كنت تقول دائماً انني أساعدك في المختبر. ويمكنني أن أساعدك الآن أيضاً. انت وأنا، يا ألآن، يمكننا استعادة السحر الذي جعل من عطور تريفيل شيئاً نادراً».

تدخّلت الكونتيسة وعيناها تلمعان غضباً:

«أتريدين القول أنّ هذا السحر لم يعد موجوداً؟»

قالت سولانج وهي تهزّ كتفيها:

«إن عطور تريفيل تتمتّع بشهرة تستحقها. وهذا ما نعرفه جميعاً. ويجب الاعتراف، أيتها الكونتيسة العـزيزة، أنّ غياب ألآن ترك فراغاً لا يمكن ان يملأه أحد. ومنذ سنتين لم يتم صنع أيّ عطر غريب من نوعه، وهذا يجعل المتنافسين يبتهجون فرحاً. لذا انتم في حاجة الى عبقرية ألآن، اذا اردتم المحافظة على شهرتكم».

غضب لويس لكنه بقي صامتاً. اشفقت فلورا عليه، خلف قناع اللامبالاة، شعرت بانزعاج هذا الشاب الذي حاول أن يحلّ مكان ابن عمه الكبير، لكنه فشل بصورة مؤسفة.

قال ألآن بنبرة واضحة:

«لا شك أن معلوماتك واسعة يا سولانج. لكن أرجوك ألاّ تتحدثي عن أي شيء يخص ما حدث، في الليلة الأولى من عودتي. لويس وأنا كنا دائماً على اتصال، خلال غيابي».

انتصب بقامته ولفظ كلماته بلهجة حازمة وهو يضيف:

«أما فيما يتعلّق بعرض خدماتك، فأنّ هذا لطف منك أن تقترحي مساعدتي. لكن آمل ألاّ تتهميني بنكران الجميل إذا رفضت مساعدتك. لقد نسيت، على ما اعتقد، أنّ لديّ الآن شريكة دائمة يمكنها أن تساعدني في كل شيء... فلورا، زوجتي!»

كانت كلماته بالنسبة الى سولانج مثل دوش بارد، وفرحت فلورا لأنها لم تكن عرضة لسخرية ألآن، الذي كان يبتسم بينما الجميع يلزمون الصمت. انه وسولانج، الممثلان الأساسيان في المسرحية، كل الممثلين فيها لا أدوار لهم، لكنهم مسحورون، يراقبون الانفعالات تتتابع على وجه سولانج: المفاجأة، والاحتقار، والغضب وأخيراً، الاستسلام الحنون الظاهر في عينيها. اقتربت من ألآن وضمته بين ذراعيها وهي تقول:

«انت على حق، فأنا أتدخّل في ما لا يعنيني. لو كان ابي موجوداً، لقال لك إن هذا أحد اخطائي الكبرى. هل تسامحني، يا صديقي؟»

بدا ألآن وكأنه استسلم. ووضع يد سولانج على شفتيه وقبّل طرف اصابعها وقال:

«ليس لك أن تطلبي الغفران، يا سولانج الجميلة. أنت تعرفين تماماً أننا متفقان جيداً والكلمات بيننا تفقد معناها».

ثم استدار نحو المجموعة الصغيرة وابتسم قائلاً:

«اعتقد أن الوقت حان لتناول العشاء».
خلال العشاء، كانت فلورا معجبة بلويس الذي أحاطها بكل مظاهر الرعاية واللطف. وسولانج استأثرت بانتباه ألآن، الى درجة نسيا معها الآخرين. لكن الكونتيسة لم تكن موافقة. كانت تحاول أن تضاعف جهدها لتدع الحديث يكون شاملاً الجميع. ومن دون اخفاء انزعاجها، قاطعت نكتة اطلقتها سولانج:
« ألآن، طلبت من لويس أن يأخذ فلورا الى زيارة المقطرة، غداً. الأمر يهمها على ما أعتقد».
رفع رأسه ووضع شوكته على صحنه وسأل:
«لماذا لويس؟ هل هناك سبب يمنعني من أن اصطحبها أنا بنفسي؟»
«يمكنك أن تذهب أنت معها أيضاً، يا بني. لويس يطلعك على التغيرات التي حصلت خلال غيابك، وفي الوقت نفسه يطوف مع فلورا في كل الأمكنة».
احمرّت وجنتا الكونتيسة، فاستدارت نحو كنتها وعادت لتقول بعصبية:
«يجب ان يأخذاك الى حقل الزهور. إنه منظر ذو جمال خلاّب. وستلتقين القطّافين. إن بعضهم من هنا، لكن معظمهم يأتون فقط خلال الموسم. وبينهم عائلات كثيرة تعمل عندنا منذ أجيال عديدة. العديدون كانوا هنا عندما جئت أنا الى القصر، وكنت عروساً. وكبر اولادهم مع ألآن ولويس. ويكادون يكونون اخوة...»
فجأة خفت صوتها المرتعش، وشعرت فلورا بأن ألآن مسؤول عن اضطراب والدته بسبب برودة اعصابه. كانت يدا الكونتيسة ترتجفان. رفعت كأسها واحتست جرعة منه ثم وضعت فوطة على

شفتيها لتخفي ارتجافها.

ابتسمت فلورا وقالت بهدوء:

«لا شك أنك كنت عروساً رائعة، يا امي. إن سحرك واهتمامك ساعدا كثيراً في جعل العمال مخلصين لعائلتك».

«هذا لطف منك، يا ابنتي! لكن ليس الفضل لي وحدي. كان زوجي العزيز رجلاً طيباً وكريماً. كان يعتني بهؤلاء الناس بشكل ممتاز. انه ارستقراطي حقيقي، لكنه كان يظهر لطفه واهتمامه بالعاملين لديه أكثر بكثير من جيراننا البورجوازيين».

وبسرعة البرق وجّهت نظرها الى سولانج. وتساءلت فلورا ما إذا كانت عائلة شيسنيه من هذه الفئة من الناس. لكنها تأكدت من ذلك عندما ضحك لويس. ويبدو أنّ الكونتيسة أدركت انها تمادت فأسرعت تقول:

«كما قلت لألآن، يا عزيزتي فلورا، لا تتردّدي اذا رأيت شيئاً لم يعجبك داخل القصر، من أن تدخلي بعض التغييرات المناسبة. منذ قرون عديدة، كما تلاحظين، بقي الديكور نفسه. لقد تمّ تجديده بالطبع، لكنه ظلّ محافظاً على طابعه الأصلي. إنّ لكل غرفة نموذجاً خاصاً وزخرفة معيّنة. غرفتك هي الغرفة الوردية، بينما غرفتي أنا، هي الغرفة الصفراء. والغرف الأخرى بعضها يحمل ألوان البنفسج واللاوند والجيرانيوم والزنبق... وخلاصة كل انواع الأزهار التي تنبت حول القصر».

«ستظل الأمور كما هي عليه، فيما يختص بي، يا أمي. اني ارى الفكرة رائعة، أصيلة ومبتكرة».

ضحكت سولانج بحدة وردّدت بلهجة ساخرة:

«أصيلة؟ مبتكرة؟ كيف يمكن اعتبار هذه الفكرة مبتكرة وكل العرائس الشابات بقين يحترمنها منذ قرون حتى اليوم؟ بالنسبة إليّ، كل شيء مبتكر وأصيل يعني أنه لا يوجد شيء مثله قطعياً. ثوبي، مثلاً، إنه الوحيد من نوعه».

ثم أضافت بخبث:

«مثلاً، انظروا الى ثوب فلورا. أليس هذا تقليداً بشعاً لزّي معين!»

خيم صمت كثيف وفهمت سولانج أنها ذهبت بعيداً بوقاحتها. وشعرت فلورا بالاحمرار يعبق وجهها. لكنها كانت شاكرة للويس الذي راح يدافع عنها إذ قال بنبرة ساخرة جعلت الفتاة تنتفض غضباً:

«لكن يا سولانج، يا ملاكي، إني اتعجب دائماً أن أرى، أن النساء مثلك، اللواتي يخترن ملابسهن من مشاهير الخياطين، يتمتعن جميعاً بالمظهر نفسه، بينما فلورا تملك جمالاً طبيعياً يسطع حتى ولو كانت ترتدي الفساتين العادية! وهذه الميزة وحدها كافية لتجعلها رائعة أمام زوجها».

قطّب ألآن حاجبيه، وسولانج لا تعرف ماذا تقول لتردّ على لويس.

نهضت الكونتيسة وأعلنت بصوت حازم:

«أعتقد أن الوقت حان لأن ندع فلورا وألآن يتمتّعان بوحدتهما. إننا لا شك نسينا أنّ نهارهما كان مليئاً. وفي كل حال، إنها ليلة زواجهما وعلينا أن نشكرهما إذ أتاحا لنا قليلاً من الوقت لنستمتع بالعريسين الجديدين».

اقتربت من ألآن وربتت على كتفه:

«لكنني، ألآن، اطلب منك أن تأخذ فلورا الى غرفتها. إن الابنة المسكينة تكاد تموت تعبا».

رفعت فلورا نحو ألآن عينيها القلقتين: ماذا ستكون ردّة فعله أمام الأمر الذي فرضتـه عليه الكونتيسـة؟ لا بدّ أنّ الكونتيسـة تتساءل ما يمكنها أن تتوقّع من ابنها الغريب هذا. لكنها رأت بارتياح أنه بدا مرتاحاً. ربما قرّر أن يطيعها، لتسامحه على كلماتـه القـاسية. سمعت فلورا لويس يتنهد طويلاً وينتفض لدى سماع صوت ألآن يقول:

«لا شك أنك على حق، يا امي».

ثم جال بعينيه الضريرتين حوْل المائدة وأضاف:

« فلورا، إذا كنت مستعدة فاننا نستطيع العودة الى جناحنا الخاص».

انتفض لويس وقال:

«دعني أساعدك، يا ألآن».

اجابه ألآن بلهجة ساخطة:

«لا، شكراً، ستهتمّ فلورا بالأمر. تصبحين على خير يا أمي. تصبح على خير يا لويس. وشـكراً يا سولانـج، ربمـا نلتقـي غداً، على الفطور».

وباشمئزاز، أجابت سولانج:

«ربما...»

خرج ألآن وفلورا من غرفة الطعام وتسلّقا السلالم التي تؤدي الى جناحهما. انتظر ألآن أن تدخل فلورا غرفتها ثم توجّـه الى غرفته. وراحت فلورا تتساءل وهي تخلع ثيابها، إن لدى ألآن القدرة على أن يبدو لطيفاً ومهذباً، وأحيانـاً وقحـاً لا يطـاق. ومـن

المستحيل معرفة حقيقة أفكاره، أو توقع ردآت فعله. دخلت الحمام لتأخذ حماماً سريعاً.

وبعد أقل من عشر دقائق كانت ترتدي قميص النوم المصنوعة من قماش النايلون الأسود المخرّم التي اختارتها لليلة عرسها، والتي اعتبرتها إسرافاً، شعرت بغصة في حنجرتها عندما اشترتها... كان الجوّ مثقلاً. فازاحت الستائر وفتحت النافذة. في السماء القمر هلال، ولا نجمة واحدة تبعد عن فلورا الحزن والكآبة. كأنها في حلم، راحت فلورا تتنشق الروائح الفردوسية المتصاعدة من كل مكان حولها. وبقيت أمام النافذة مخدرة، لفترة طويلة، ثم تنبّهت اذ سمعت ضجة آتية من غرفة ألآن، صوت خطواته اللجوجة ذهاباً واياباً داخل الغرفة الصغيرة. انتفض قلب فلورا. هل ألآن مريض؟ راحت تصغي. كانت الخطوات ايقاعية متناسقة: ثلاث خطوات وبعدها صوت درج انفتح، خمس خطوات وصوت قاطع التيار، ست خطوات وصرير الباب. وفهمت للحال، إنه يتعلّم المشي في غرفته. وهمست في صوت متقطع: «آه، يا حبيبي المسكين. لو تسمح لي فقط بمساعدتك!». تصلّبت فلورا، الخطوات توقّفت أمام الباب. جفّت الدموع على خديها الساخنتين بينما كانت تنتظر، لا تجروء على التنفس البطيء. وارتاحت عندما سمعت ضربة خفيفة على الباب.

قالت بهدوء:

«ادخل!»

ازدادت نبضات قلبها الى درجة الاحساس بالألم.

لم تشعل نور الغرفة. وظهر شبح ألآن في مئزره الغامق وهو يدخل الغرفة.

سألها في صوت متوتر:

«هل ازعجك؟ لم أكن قادراً على النوم وتساءلت... ربما يمكننا أن نتحدّث...»

بذلت فلورا جهداً كبيراً للمحافظة على نبرة صوتها الخفيفة، لأنها تعرف أنها يجب عدم اظهار شفقتها. فقالت:

«بكل تأكيد، ادخل. وأنا كذلك لم أستطع النوم. ومن الأفضل أن نتحدّث».

وبهدوء راحت فلورا تتحدّث، حول كل شيء وحول لا شيء. الى أن شعرت بالجوّ يهدأ. فسكتت، واكتفت بالبقاء قربه، أمام النافذة، تاركة لليّل العذب اكمال المهمة.

«أنت انسانة مريحة جداً، يا فلورا، هادئة وساكنة! إنها الصفات التي جذبتني إليك في البداية».

ثم أضاف بلهجة أكثر قسوة:

«ربما، لأنها تعاكس كلياً مزاجي الشيطاني، ونزواتي المتفجرة، التي لا تطاق!»

قالت بهدوء:

«رويداً يا ألآن. دع عقلك يستريح، ليرتاح جسدك».

قال وهو يشدّ على معصميه:

«نعم... كل الذين حولي يتمنون أن يحدث لي ذلك. لقد توصّلت حتى أن أجرح شعور والدتي».

فجأة أمسك بيده الستائر، في عنف جعل فلورا تعتقد أنه سوف يقتلعها. ثم تابع يقول وأسنانه تصطك توتراً:

«لا أحد يفهم. لا أحد يمكنه أن يتصوّر العذاب الذي أقاسيه. إني

اسمع اصواتاً، وأصغي الى الكلمات وأتساءل باستمرار ما يمكن أن يفوتني من عدم قدرتي على رؤية التعابير على وجه محدّثي. منذ سنتين وأنا اتعذّب من الكذب، حتى أني بدأت لا أثق بأية كلمة. عندما آكل، اتساءل، هل طريقتي وحركاتي منفرة، أو هل أستطيع الوثوق بالذين يتعجّبون من قدرتي الهائلة؟ إني ارتاب حتى من كلمات والدتي، لكنني أتحمّلها لأني أعرف جيداً أنها لا تخونني أبداً بارادتها. لكن أنت، يا فلورا؟»

أمسك كتفيها في قوة وقال:

«لقد اعتقدت أنك حنونة وطيبة. وتصوّرت أنك لا تفكّرين إلاّ بالغير، لكنك خيّبت أملي نهائياً عندما اعترفت بصراحة أنك ارتشيت... كنت للبيع وأنا اشتريتك!»

تابع كلامه وهو يهزّها بقوة حتى أنها اضطرّت الى حبس صرخة مؤلمة:

«يا إلهي! لا أعرف لماذا، لكن خيبة الأمل تؤلمني أكثر من أي شيء آخر. إني بحاجة لوجودك بقربي، لكنني أرفض أن أتصرّف كشحاذ أعمى! قولي الحقيقة. من هي المرأة التي تزوجتها؟ ابنة الكاهن الناعمة، الرقيقة او المرأة المبذرة؟»

كانت تقاوم وهي مضطربة وخائفة من نفوره وغضبه ولم تلاحظ أنه طرح عليها سؤالاً. كانت يدا ألآن تلهب كتفيها وعيناه تلتمعان غضباً. ومن خلال موجة الرعب التي غرقت بها فلورا، استيقظت فيها الشفقة، لكنها كانت خفيفة لا تساعدها على التغلب على الخوف الذي كان يقترب منها، خوف أصبح جنوناً عندما شدّها نحوه وهمس في اذنيها:

«هكذا اذاً، الخجل، يمنعك من الاجابة؟»

شعرت بألآن يرفعها عن الأرض ويحملها الى السرير. أرادت الاعتراض، لكن الدموع خنقت الكلمات في حنجرتها. ولم تعد تقاوم وظلّت متمدّدة، رافعة عينيها الواسعتين هلعاً نحو الرجل، الأعمى نفسياً وجسدياً، نحو زوجها، الذي تزوجته هذا الصباح بالذات على يد والدها القسيس.

انحنى امامها ورأت على وجهه ابتسامة متعطشة. وبعد لحظة، كان شعر فلورا الأشقر ينتشر على يد ألآن كباقة ذهب. وكان غضب الرجل قوياً وعنيفاً، ويشعر بتجاوب خجول من جانبها.

أريج الأزهار يعبق في النافذة المفتوحة. ستظلّ فلورا تتذكر هذه الليلة التي ولد فيها احساس، يصعب وصفه، من رجل أعمى، قلبه هو عيناه.

وبينما كانت ترتاح قربه، كانت تحاول أن تسبر أغوار عواطفها الصاخبة، الفرح والألم، الحب والخجل. هل يحبها، هل يكرهها؟ هل هو يمتلكها كزوجة أو كعاهرة يدفع لها ثمن خدماتها؟

تحرّك ألآن وناداها هامساً ثم شدّها من جديد بين ذراعيه. فاسترخت فلورا وبابتسامة سعيدة أغمضت عينيها، تاركة السؤال من دون جواب.

٧ ـ الغيرة أخت الحب!

عندما استيقظت فلورا في الصباح التالي، لم يكن ألآن بقربها. حاولت كل جهدها ألاّ تفكّر بما حدث لها الليلة الماضية، لكن سؤالاً ظلّ يقلقها: كيف سيتصرف ألآن، عندما سيواجه فلورا وجهاً لوجه؟

جلست على كرسي أمام المرآة وراحت ترتب شعرها ويدها ترتجف، واذا بصورة ألآن تظهر في المرآة. فوجئت وتركت الفرشاة تقع على الطاولة محدثة ضجة عالية.

وسألها من دون أي تأنيب ضمير:

«هل اخفتك؟»

كان يرتدي بذلة فاتحة اللون، وقميصاً من الحرير وربطة عنق معقودة بطريقة مثالية. وشعره الأسود مبلّل بعد الحمام.

أجابته في صوت غامض وهي تحاول تهدئة نفسها:

«كان يجب ان تطرق الباب».

قال باهمال:

«لماذا؟ لا أستطيع ان اراك. في كل حال، ليس هناك فرق بيننا، بعد الآن؟»

إن برودة صوته لا تطاق. نهضت فلورا للحال وارادت الابتعاد، لكنه شعر بحركتها وأمسكها من كتفيها. زاماً شفتيه:

«لم آت كي اعتذر. ما حصل مساء امس، لم يكن محضراً او مرغوباً فيه. هل تصدّقيني؟»

أي أمل جديد في أعماق فلورا مات. يبدو وكأنه من المستحيل أن تصدر هذه الكلمات المجرّدة عن رجل همس في أذنيها منذ ساعات قليلة، كلمات الغزل، والذي أيقظ فيها أحاسيس غريبة كانت تجهلها تماماً.

ولأنها لم تجبه، هزّ كتفيه وتركها:

«أرى أنك لا تصدّقيني. هذا لا طائل فيه. سأحرص على أن تحصلي على المكافأة اللازمة. الوقت لا يسمح لي بأن ارافقك الى باريس، لكني سأطلب من دار أشهر الخياطين أن يرسلوا لنا كل مستحدثات الأزياء. وسأطلب من أمي أن تريك كل مجوهرات العائلة: وهي تنصحك باختيار ما يليق بك.»

كل كلمة كانت تنعر قلب فلورا مثل نصل سيف حاد. وراحت تتساءل ما إذا كان بامكان الانسان أن يموت من الخجل أو العار، وما إذا كان قلب مصاب بجرح عميق في وسعه أن ينزف حتى الموت. وراحت تتهاوى تحت تأثير غثيان مزعج. خار جسدها النحيل، وعنقها النحيف يحمل ثقل رأسها بصعوبة. وفمها يرتجف ألماً وخيبة.

«لماذا لا تردّين على سؤالي؟ اذا كنت ترغبين في شيء ما، ما عليك إلاّ ان

تقولي.»

استعادت انفاسها قبل أن تقول في صوت مرتجف:

«أريد أن أبقى وحدي. أرجوك دعني؟»

رفع ألآن حاجبيه وبدا وجهه محتاراً. كانت عيناه تتفحصان ملامح فلورا محاولة معرفة سبب ضيقها.

سألها:

«ماذا قلت حتى توترت اعصابك هكذا؟»

ثم أضاف بهدوء كأنه استوعب الفكرة:

«ربما أكون قد أخطأت؟»

أخذها من جديد في كتفيها وشدّها بعنف نحوه:

«قولي من جديد لماذا تزوّجت مني!»

لو أنه طرح هذا السؤال قبل خمس دقائق، لربما قالت له الحقيقة. وشعرت بالحرارة تغمرها، ربما يكون الحب والحنان. في الوقت الحاضر، مجرّدة من اي وهم، تفضّل الموت على أن تدعه يعرف أنها تحبه بقوة. إن ضعفها أيقظ فيها الغضب الذي ساعدها على أن تلعب دورها عن اقتناع. تحرّرت من عناق ألآن وتراجعت خطوات الى الوراء، وراحت تؤدي دور الممثلة البارعة مستخدمة نبرة انسانة مدلّلة أصيلة وقالت:

«متوترة؟ لماذا؟ بصراحة يا ألآن، يؤسفني أن يكون ميلك الى اعتبار اللذة بهذه الجدية. لقد كنت أعتقد أن الفرنسيين هم اشخاص مولعون بالغرام ومفعمون بالحماس، من دون أي كبت، لكن انت تبدو على العكس تماماً. لا داعي للقلق، إني أرفض كلياً أن أفسد وعدي بمستقبل رائع!»

تمثيلها الشجاع والبطولي أعطى نتائجه. فقد اعتلى وجه ألآن قناع القسوة والكره الغاضب، مما جعل فلورا تتراجع الى الوراء وقد اعتراها القرف من نفسها.

قال ألآن:

«إني آسف أن أكون قد خيّبت آمالك الى هذا الحدّ. ولحسن الحظ فأن الغلطة لن تتكرّر.»

«لا أفهم...»

«اني حزين على نفسي، اذ تنقصني برودة الأعصاب. لكن ما تقولينه الآن يعفيني من ضرورة الاعتذار منك. في أي حال أنت امرأة لا تستحق الاعتذار. فأنت لا تبحثين إلاّ عن الملذات المادية، وأنا سعيد بأن أقدّمها لك وذلك لأحرّر نفسي من أي دين لي نحوك.»

وراح يشد على معصميه محاولاً كبت غضبه. وكان على وشك أن يقول أكثر من ذلك، لكنه تحامل على نفسه وخرج من الغرفة بعد أن صفق الباب وراءه بشدة. ألقت فلورا بجسمها على السرير، في حالة يأس، مقرّرة ألاّ تبكي، لكنها كانت عاجزة عن أن تكبت النشيج المؤلم الذي كان يهزها بكاملها.

بعد نصف ساعة، نزلت فلورا الي غرفة الطعام. كان لويس قد أنهى فطوره. كانت قد غسلت وجهها واستعادت ضبط نفسها. لكن روح الفروسية التي يتمتع بها لويس استيقظت فيه عندما لاحظ ظلالاً تحت عينيها الرائعتين. وفي لياقة غير عادية نهض وسألها ماذا تريد أن تأكل.

«لا شيء، شكراً، يا لويس.»

وفي الحال، شعر بالغضب من ألآن. إنه يعرف فلورا بما فيه

الكفاية، وهي لن تسمح له بانتقاد زوجها. لكنه قرّر أن يحدّث ألآن ويطلعه على حزن زوجته العميق.

قالت وهي تلتفت نحو الباب باستمرار، كأنها تخشى أن ترى زوجها يدخل منه:

«أتسمح لي بفنجان قهوة؟»

«بكل تأكيد.»

راح يصب لها القهوة. ثم قال فجأة:

«هل كلّفك ألآن أن تقولي لي شيئاً؟»

هزّت رأسها ، فعقد لويس حاجبيه ثم قال:

«سأذهب الى المقطرة هذا الصباح. عليّ انتظاره، لكنه ليس هنا ولن انتظره أكثر من ذلك. هل تحبين مرافقتي؟»

أحس بالارتياح يرتسم على وجهها المضطرب. ولم تنتظر لتكمل قهوتها، فنهضت وتلعثمت وهي تقول:

«نعم. يسرني ذلك. سأصعد الى غرفتي لأصطحب حقيبة يدي. سأعود في الحال.»

قال لويس وهو يضحك من نفاد صبرها:

«انتظري! هذه قهوتك...»

لكنها كانت قد خرجت من الغرفة.

كانت السيارة تقودها وسط حقول الزهر وخصوصاً الورد والياسمين والقرنفل التي يعطر أريجها الهواء. وبينما فلورا منغمسة في أفكارها، كان لويس يحدّثها بلا رابط عن صناعة العطور، ولحسن حظها لم يكن ينتظر منها أي تعليق. لم يكن عقلها يسجل إلاّ القليل مما كان يقوله، لكنها لم تمتنع من الاستغراب عندما قال لها إن ليتراً واحداً من

العطر يحتاج الى سبعمائة زهرة.

قال لويس وهو يبتسم بخفة:

«في العالم، خمسة عشر شخصاً يستطيعون التمييز بين ستة آلاف نوع من العطور، ومن بينهم ست أشخاص يعيشون هنا في غراس... وبالطبع، ألآن هو من بين هؤلاء الأشخاص.»

«وأنت، يا لويس؟ اني متأكدة أنك تتقن مهنتك جيداً، لكن لا أعرف لماذا تبدو كأنك لا تريد الاقرار بذلك.»

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال:

«في كل الالتزامات التي حققناها كان ألآن أقوى مني. فرأيت أنه لا جدوى من منافسته. فقد أعلن منذ سنوات عديدة، أني لن أكون سوى تريفيل من الدرجة الثانية. والد ألآن ووالدي كانا توأمين. ورث والده القصر والممتلكات، بينما والدي كان عليه أن يكتفي بما تركوا له، وذلك لأنه يكبره بعشر دقائق. كنت لا أزال صغيراً عندما قتل أبي وأمي في حادث طائرة. والكونتيسة التي أناديها الآن، امي، جاءت بي الى القصر، ومنذ ذلك الحين، وأنا اعيش هنا.»

ثم أضاف بسخرية ومرارة:

«لكن ألآن هو الأساس وأنا لست سوى الظل.»

لهجته الحزينة أثّرت في فلورا كل التأثير. فانحنت أمامه لتؤكد له في اقتناع:

«ليس هذا صحيحاً، يا لويس، وأريدك أن تعدني ألاّ تفكّر هكذا بعد الآن.»

لم يعد لويس قادراً على السيطرة على برودة اعصابه أمام اهتمام فلورا الصادق، واذا به يشدها نحوه ويعانقها. لكن فلورا

ابتعدت عنه في الحال، وأمسكت بمقود السيارة التي لم يعد يسيطر عليها لويس. لكنه سرعان ما اعتذر منها.
«اني متأسف، يا فلورا، متأسف جداً! لقد تصرّفت بتحريض من عواطفي أمام لطفك وحنانك. أرجوك أن تسامحيني!»
وللمرّة الأولى في حياته، يهتمّ بصدق بما يمكن أن تفكّر فيه المرأة. وبالنسبة اليه، كانت فلورا تشكّل كل ما كان يبحث عنه. وما يعذّبه في الأمر أنه اكتشف المرأة المثالية، لكنها زوجة ابن عمه، هذا الرجل الذي لا يشعر سوى بالغضب أو الانانية. انه لا شك يعامل زوجته في استهتار ولا مبالاة كما يعامل بقية أفراد العائلة. وهذا ظاهر على وجه فلورا بالذات.
وتأكدت فلورا أنه نادم على ما قام به، فسامحته فوراً وقالت له بقسوة ممزوجة بشيء من الرقة:
«إني أسامحك، شرط ألاّ تتصرّف هكذا بعد الآن»
ارتجفت شفتا لويس في ابتسامة. وبدورها ابتسمت. وسرعان ما زال التوتر بينهما وراحا يضحكان معاً من صميم قلبهما. فاضطر لويس أن يوقف السيارة الى جانب الطريق، ريثما تنتهي نوبة الضحك. وما أن استعاد لويس رباطة جأشه حتى مسح عينيه الدامعتين وأعلن في حزم:
«شكراً، يا زهرتي الجميلة، لقد أرحت اعصابي، إن نهاراً من دون ضحك هو نهار ضائع!»
لمعت عينا فلورا وتبدّدت أفكارها الحزينة، فردّدت بابتسامة صافية:
«وأنا أيضاً كنت بحاجة لهذا، يا لويس.»

«اذاً، أنا سعيد لأنني استطعت أن اقدّم لك خدمة مفيدة. عليّ أن أعانقك كلّما رأيتك حزينة و يائسة.»

عادت الى الضحك من جديد واستعدت للاستفادة من بقية الرحلة. كانا لا يزالان في مزاج رائع عندما وصلا الى غراس. كانت السيارة تعبر جادة واسعة تظلّلها أشجار الدلب وتطلّ على حقول الزهر. فسأل رفيقته:

«ما رأيك بهذا المنظر؟»

«انه لا شك رائع...غريب...آه لا أجد الصفات المناسبة لأصفه لك.»

«اسمعيني يا فلورا. لست في حاجة الى أن أذهب فوراً الى العمل. دعيني أطوف بك الاحياء القديمة. اني متأكد من أنها ستعجبك. بعدئذ، يمكننا أن نتناول طعام الغداء في مطعم أعرفه جيداً، حيث يقدّمون أفخر المأكولات اللذيذة في المنطقة. ما رأيك؟»

لم تكن فلورا في حاجة الى جهد لتقتنع بفكرة لويس. كانت الشمس حارة والسماء شديدة الزرقة وكان لويس رفيقاً لطيفاً. وفوق ذلك كانت تخشى أن تلتقي الآن في المقطرة. هزّت رأسها ايجاباً، فشكرها مقبلاً أصابع يدها. وراحا يتمشيان برشاقة، يدها في يده. ثم تسلّقا درجاً عريضاً أخذهما الى المدينة القديمة.

كان لويس دليلاً رائعاً. أراها المنازل العائدة الى القرن الثامن عشر، ذات الأعمدة المتفاوتة الأقسام. وزارا معاً كاتدرائية قديمة العهد، ثم تمشيا في الأزقة الصغيرة الرائعة. أمام كل باب درجات مبنية من الحجارة، وكل درجة مزينة بالنباتات المزهرة التي تتسلّل حتى قارعة الطريق. وأمام بعض المنازل، النساء المسنّات يرتدين الفساتين الطويلة السوداء وفوقها المراويل البيضاء، وعلى رؤوسهن قمطات من

الحرير الأبيض، يراقبن الأولاد الذين يلعبون على الطريق. كانت فلورا مسحورة أمام كل هذه المشاهد. وأحبّت التوقف مطوّلاً أمام الحوانيت الصغيرة حيث يمكن للانسان أن يجد ما يريد، من الأشياء النحاسية، الى الجواهر القديمة وحتى اللوحات الفنية. لكنّها فوجئت عندما سمعت لويس يقول:

«علينا أن نتناول طعام الغداء قبل الذهاب الى المعمل. أعدك بأن أصحبك مرّة أخرى الى هنا، ما دمت تحبين هذا الحي القديم.»

تنهّدت فلورا:

«يا إلهي! هل أنت متأكد أن هناك وقتاً لتناول الغداء؟ ألا يجب أن نذهب فوراً الى المعمل، ربما يحتاجون اليك هناك؟»

لكنه كان مصرّاً على أن يأخذها الى هذا المطعم ويدعها تتذوق الطعام الجيد.

كان حساء السمك لذيذ الطعم، بحيث فقدت فلورا شهيتها لتناول الوجبة الثانية. وبدأت تقلق بعدما مرّ على وجودها في المطعم زهاء ساعة، لكنها أدركت أن لويس لا ينوي الذهاب. راحت تحاول اقناعه بمغادرة المكان فرضي مرغماً. كان لويس متعباً لفرط ما أكل وشرب. وكانت فلورا ممسكة قلبها بيديها طول الطريق حتى وصلا أمام بناء ضخم مبني بحجارة القرميد وعلى مدخله كتب بأحرف مذهبة «عطورات تريغيل».

ولرغبتها الشديدة في الترجل من السيارة، لم تلاحظ أن سيارة توقفت وراءها من دون أن تحدث ضجة. فالتفتت لدى سماعها صوت سولانج:

«ها انتما وصلتما أخيراً! لقد فتشت عنكما في كل أنحاء غراس»

ابتسمت سولانج في خبث وسوء نية مما جعل فلورا تشعر

بالقرف والاشمئزاز.

وأضافت سولانج بلذّة ظاهرة:

«إن ألآن غاضب بشدة!»

تركت لويس يدخل الى المعمل، وتبعت سولانج ثم تسلّقتا سلّماً من الحجارة يصل الى المختبرات حيث يعمل ألآن طيلة الوقت. وكانت سولانج تساعده منذ الصباح.

«عندما عرفنا أنك ولويس خرجتما، قرّرت أن أصطحب ألآن الى هنا. كنا نأمل ان نجدكما لدى وصولنا. وكان ألآن في حاجة الى أحد يساعده في وزن مختلف العطور. وبما أنك لم تكوني هنا، عرضت عليه مساعدته. في أي حال، من الأفضل ألاّ تكوني هنا. فلست يا عزيزتي على معرفة بهذه الأمور، مثلي أنا. واسمحي أن أقول لك، أنك كنت أزعجت ألآن بوجودك أكثر من مساعدته.»

لم ترد فلورا، فتابعت سولانج تقول:

«ولديّ سبب آخر في مساعدتي له في هذا المشروع. إن الاختراع الذي يعمل عليه سيكون طرفة رائعة. كان قد وصل تقريباً الى النتيجة النهائية عندما حصل له الحادث.»

ثم أضافت بعد أن أطلقت زفرة امتنان عميقة:

«انه عطر خاص بي!»

كانتا قد وصلتا الى أعلى السلم، لكن سولانج توقّفت عن الصعود، إذ كانت مقررة أن تفهم فلورا عن الدور الكبير الذي تحتله في حياة ألآن.

«ستجدين ألآن بعيداً بعض الشيء، يا عزيزتي. وخلال الغداء أظهر استياءه من غيابك الذي طال...وغياب لويس. حاولي ألاّ تلوميه إذا أظهر بعض الغيرة. لقد سبق له مرّة أن شكّ في المرأة التي كان يحبها

واتهمها بالخيانة، ومن ثمّ، لم يعد يثق في أحد.»

رددت فلورا قائلة:

«المرأة التي كان يحبها؟ هل تعنين بذلك، انت يا سولانج؟»

قالت الفتاة، وقد فوجئت:

«هل انت على معرفة بذلك؟ هل أخبرك لويس؟»

هزّت فلورا رأسها وتغيّرت تعابير سولانج بشكل كامل. وقالت وفمها يرتجف:

«اني اتألّم كلّما أفكّر بالأمر. كنا، ألآن وأنا، ننوي الزواج بعد شهر من الحادث. وليلة الحادث، جاء من يقول له ان لي عشيقاً».

تحطّم صوتها، لكنها انتصبت وتابعت بشجاعة:

«انها كذبة بالطبع. منذ أن تمّت خطوبتي لألآن، لم أفكر بأي رجل آخر. لكن ألآن رفض أن يصدّقني وفسخ الخطبة.»

واتسعت عينا فلورا لأنهّا لم تصدّق ما تقوله سولانج التي أدركت بأن فلورا ستقاطعها، فأكملت تقول بسرعة:

«وراح يقول للجميع إنني أنا التي تركته وذلك ليراعيني، لكنه هو الذي فسخ الخطبة، ورفض أن يحدّث أحداً بذلك حتى والدته. ولا شيء مما قلته غيرّ رأيه في قراره...»

كانت تحدّق في فلورا كأنها تريد اختراق أفكارها وتابعت:

«هل تفهمين الآن لماذا عليك أن تحترسي لما تقولينه وما تفعلينه مع ألآن. إنه يعي وضعه بصورة مؤلمة ويغار جداً على ما يملكه.»

ارتعبت فلورا لفكرة أن ألآن رجل مترمّت. ولم تفهم كيف أنه فضّل أن يثق بأقوال شخص آخر غير سولانج بدلاً من يثق بالفتاة التي ينوي الزواج منها. وكانت سولانج تبدو صادقة في كلامها

ومن المستحيل عدم تصديقها. كيف يمكن لألآن، الذي أحب سولانج كثيراً، أن يرفض الاستماع اليها عندما شاءت أن تقدّم له البراهين؟ لماذا أصبح في هذه المرارة وهذا الشك؟ وسمعت فلورا كلمات والدها ترن في اذنيها: لقد أصبح هذا الرجل مثل انسان آلي، لا حس فيه. ولديّ شعور بأنه أصيب بجرح عميق، ليس فقط جسدياً، بل ان كل الأحاسيس في أعماقه ماتت.

وضعت فلورا يدها على فمها لتمنع صرخة ألم. انها تتألّم من أجله، هو الذي تعذّب نفسياً من تصوّره لخيانة سولانج له، أكثر عمقاً من العذاب الذي تحدثه أدوات الجرّاح. كانت فلورا تدرك جيداً أن لألآن أسباباً أخرى غير التي أعلنها من أجل أن يتزوجها. وهي تعرف جيداً ما هي تلك الأسباب. كان يريد أن يضع سولانج أمام الأمر الواقع، بزواجه من أي امرأة كان، للانتقام من حبيبته، التي يعتقد أنها خانته يوماً مع رجل آخر. تزوّج منها لأنه في حاجة الى حاجز يقيه جاذبية الفتاة التي ما زالت تؤثّر فيه، وكذلك لتملأ الفراغ الذي تركته سولانج في حياته. وأمام هذا الاكتشاف شعرت فلورا بنفسها يتقطّع. لقد هجرته هذا الصباح! لا شك أنه كان في حاجة اليها لتساعده في عمله، فاضطرته الى اللجوء الى سولانج!

«أين ألآن؟ يجب أن اوافيه.»

بدت قلقة جداً مما جعل سولانج تبتعد تاركة لها المجال لأن تعبر الممر.

أضافت فلورا تقول عندما رأت أن سولانج تتبعها:

«ارجوك. أريد أن أتحدّث اليه بمفردي.»

قطّبت سولانج جبينها، لكن، أمام قرار فلورا، أدركت أن لا

مجال للمناقشة. هزّت كتفيها وعادت الى نزول السلم. وقالت في لهجة تحدّ:

«عظيم. سأكون مع لويس، اذا طلبني ألآن.»

لكن فلورا كانت قد اختفت داخل المختبر.

وجدت ألآن يتحدث مع رجل شاب يرتدي مريولاً أبيض، ويصب بدقة من قنينة سوداء، كمية صغيرة جداً من سائل ما. قناني متنوعة حول طاولة العمل. وتذكّرت فلورا ما أخبرها لويس، عن مجموعات الزيوت الأساسية الذي يختار منها كل المحتويات التي ينوي استعمالها لتجاربه. أنابيب مخبرية، مصاف كيميائية، مقطرات، كلّها موزّعة على طاولة العمل المغلّفة بألواح زجاجية خشنة.

واذا بالرجل يكلّم ألآن ليخبره عن وصول امرأة راح يصفها له، وشعرت بانقباض ألآن الذي ردّ على مساعده بدون الالتفات نحوها. نظر اليها الرجل وقدّم اعتذاره وخلع مريوله واختفى تاركاً الغروسين وحدهما.

تلعثمت فلورا في خجل مثل فتاة تشعر بالخطأ الذي ارتكبته وتحاول الاعتذار، حين قالت:

«اني آسفة لتأخري. ربما كان يجب عليّ أن أعلمك في الصباح أني سأذهب مع لويس. لكن لماذا لم تنبهني أنك ستكون في حاجة الى مساعدتي. لم أفكّر بما فعلته.»

التفت فجأة، رافعاً رأسه بغطرسة وقال بنبرة متهمة:

«لم تفكّري بما فيه الكفاية...أو بالعكس، لقد فكّرت أكثر مما يجب؟ اني أعرف الأساليب التي يستعملها ابن عمي تجاه الجنس اللطيف. وللأسف، لن يعجبك اذا قلت ان المال ينقصه، لديه فقط ما يكفي

لأرضاء ذوقه الغريب. ويجب عليَّ أن احذَرك بأنك، اذا كنت تنوين الاستفادة من أمواله، فانك تضيعين وقتك سدى».

كانت كلماته بمثابة صفعة على وجه فلورا. فابتلعت احتجاجها وبقيت مسمّرة جامدة مكانها. لا فائدة من التعبير عن حاجتها لتؤكّد له صدقها وتقنعه بأنها نادمة على اختيار رفقة لويس بدلاً من رفقته هو بالذات. إنه لن يصدّقها. لكنها كانت على وشك أن تشرح له ما حدث، إلاّ أن صوت ألآن أوقفها عند حدها. فقد التفت نحو طاولة العمل، يبحث بيده عن شيء لم يتمكن من العثور عليه. أطلق شتيمة وقال:

«إني في حاجة الى سولانج. أرجوك ان ترسلي وراءها حالا، ثم اطلبي من أحد العمال ان يأخذك الى القصر. لا تختاري لويس، لأن وجوده هنا ضروري، لدينا أعمال كثيرة نريد أن نحققها. كما أني لا اريد منك ان تشجعيه على الكسل.»

قامت فلورا بجهد كبير لترّد عليه في عزة نفس لكنها لم تكن قادرة على اخفاء ارتجاف صوتها كلياً:

«عظيم. سأفعل ما تطلبه مني. لكن لا داعي لأن تنصحني بعدم ازعاج أي كان. ليس في نيتي منع لويس من العمل. أو منعك انت. الى اللقاء يا ألآن.»

كبتت الدموع التي كانت تحرق جفونها وتابعت تقول:

«سأخبر سولانج انك في حاجة إليها، قبل الذهاب الى القصر.»

خلال الأيام التالية، حاولت فلورا أن تتحاشى الالتقاء بألآن قدر المستطاع. كانت تنتظر أن تغادر السيارة التي تقل ألآن، لويس وسولانج، قبل أن تتوجّه الى غرفة الطعام لتناول الفطور.

وفي الصباح كانت تذهب الى حقول الزهر، حيث الجمال واستقبال القطافين الحماسي لها، كانا حميمين بالنسبة لها. ألآن ولويس وسولانج لن يعودوا إلاّ قبل موعد العشاء بقليل. وفلورا ستتناول طعام الغداء مع الكونتيسة. وبعدها، تمضيان ساعة من الوقت تتحدثان وهما جالستان في الحديقة، الى أن يحين موعد الكونتيسة الأم في الخلود الى القيلولة الغالية على قلبها. إن العطف والحنان والمحبة التي كانت الكونتيسة تكنّها لفلورا، كلها بمثابة عزاء لعواطفها الجريحة والمهانة. وكانت بدورها توفّر لها الحنان بالمقابل وذلك في شوق وحماسة عائدين الى سحر وتفهم هذه المرأة العجوز، ومن جهة اخرى الى الوحدة القاسية التي تشعر بها فلورا كلّما فكّرت بوالديها والحب الذي أحاطاها به.

وخلال إحدى الجلسات، أظهرت الكونتيسة شعورها بأن الأمور بين ابنها وعروسه تبدو وكأنها ليست على ما يرام. كانتا جالستين في الحديقة، قرب سبيل ماء يخرّ، عندما حدّقت الكونتيسة في عيني فلورا اللامعتين وقالت:

«لست سعيدة، ابنتي. كنت آمل أن طبيعتك سوف تؤثّر على ألآن، لكن أرى أنّ العكس هو الذي حصل، إن طبعه بدأ يدخل الى قلبك.»

كانت فلورا على وشك انكار ذلك عندما أضافت الكونتيسة:

«لا تنكري ذلك، يا حبيبتي. انك تبذلين جهداً كبيراً لتظهري بمظهر المرأة المرتاحة. لكن، حتى في الراحة، يبدو وجهك الناعم متوتراً. إن ابني زوج صعب، أليس كذلك؟»

اصفر وجه فلورا فجأة. فاعتذرت الكونتيسة:

«سامحيني إذا كنت تتألمين، يا صغيرتي.. إني فعلاً امرأة لا يغفر لها!»

قالت فلورا وهي تحاول أن تبتسم:

«لا شيء، يا أمي. اني اعرف أنك قلقة على ألآن وانك تريدين له كل السعادة. لكن للأسف، أخشى أنه لن يجد سعادته معي.»

قالت الكونتيسة في اقتناع:

«اذاً، فلن يجدها مع أحد. كنت أتمنى أن أوبّخ ألآن على اهماله لزوجته. لكنه لم يعد الابن الذي كنت أعرفه، الرجل الطيب، اللطيف والرائع. وإلاّ لما تأخرت لحظة واحدة من القيام بذلك. لكن الولد الذي عرفته وأحببته ضاع الى الأبد.»

احتجّت فلورا في اقتناع:

«لا، يا أمي. لا تدعي نفسك تصدّقين ذلك! انه سيعود كما كان عندما يسترجع بصره. إن في وسعنا اقناعه بأن عملية أخيرة ضرورية له.»

تألّق وجه الكونتيسة وقالت:

«اذاً، يجب أن نحاول ذلك، يا حبيبتي. يجب أن نجد طريقة لاقناعه. أنا وأنت يمكننا إيجاد هذه الطريقة.»

وأخذت الكونتيسة يد فلورا بيدها الناعمة. وشعرت المرأة الشابة بأملها ينتعش كأعجوبة، وذلك بفضل الجهد الذي قامت به لتبدّد فتور عزيمة المرأة العجوز. وبنشاط متجدّد، استجمعت فلورا أفكارها. لا بدّ أن هناك عاهة أو صدعاً في بنية ألآن. وعليها أن تكتشفها مهما كلّف الأمر. كان على وشك تدميرها. وفي محبتها له، أتاحت له المجال ليحقّق هدفه. لكن، اذا تمكّن من تحقيق سعادته، في تدميرها، فان التضحية تكون عندئذ مبرّرة.

وسمعت صوت الكونتيسة:

«كم يكون ذلك رائعاً أن أستعيد ولدي. كان ألآن يذكّرني بزوجي

العزيز بصورة مستمرة. إنه يشبهه تماماً حتى انه يتهيأ لي أنـي لم اخسر زوجي. ولهذا السبب أرى نفسي حزينة جداً من جرّاء الحادث الذي أفقد الآن، لا بصره فحسب بل طبيعته المحبة والكريمة.»

وأضافت حالمة:

«زوجي كان رجلاً متقلّب المزاج، ينتقل بسرعة من الحنان الى الغضب وفي ظرف ثوان قليلة يمكن أن تصيبه نوبة غيرة شديدة التخـريب والتدمير.»

ضحكت بعض الشيء. فالذكريات تجعل عينيها حنونتين:

«لكن بعد أن تهدأ نوبته، كان يبدو نادماً ومنسحق القلب. وكان يخجل من فقدانه برودة اعصابه ورباطة جأشه وكان يقـول دائماً لطلـب المعذرة:

«يجب ان تعتبري ذلك بمثابة مديح لك، لو لم أكن أحبك، لما كنت غيوراً الى هذه الدرجة. أي امرأة يمكنها مقاومة هذا المنطق؟ كان مؤثراً، وحيوياً، وغير قادر على مقاومة رغباته الطبيعية...»

أخرجت زفرة عميقة واضافت:

«إن الآن مختلف عن والده. فالغضب والحقد البارد والغيظ كلّهـا تسيطر عليه إلى درجـة تجعلنـي أتسـاءل ما إذا كان مجـرّداً من أية عاطفة...»

وخلال فترة غير قليلة، حاولت في صمت التخلص من توترها. فجأة تنهّدت الكونتيسة. فرفعـت فلـورا عينيهـا ورأتهـا تضحـك، في ضحكة خبيثة كانت تنعكس في عينيها.

«لقد وجدتها!»

راحت الكونتيسة تفرقع في اصابعها في حيوية ونشاط كأنهـا لا

زالت شابة. ثم نظرت الى فلورا التي كانت متعجبة وراحت تضحك، وفاجأتَ كنتها قائلة:

«يجب عليك أن تجعلي ألآن يغار عليك»

تلعثمت فلورا وهي تقول:

«أن يغار؟ لكن لماذا...كيف؟»

أجابت الكونتيسة في لهجة حازمة:

«لأنك، بهذه الطريقة، تبرهنين له وفي الوقت نفسه لك أيضاً، أنه ليس بالفعل الانسان الآلي وفاقد الاحساس!»

وراحت تشدّد على أقوالها:

«الغيرة هي أخت الحب. وعندما نوقظ الأولى، نكون قد أيقظنا الثانية حتماً.»

شعرت فلورا أن قلبها ينقصها. كل شيء يبدو سهلاً في نظر الكونتيسة. لكن الوضع بينها وبين ألآن أكثر تعقيداً مما تظنه المرأة العجوز. ففي رأي الكونتيسة، أنه يكفي إخراج ألآن من اليأس الذي نتج عن الحادث، فهي تجهل أنه لم يكنْ للحب أي دور يلعبه في هذا الزواج الغريب، ولا يمكن لفلورا ألاّ تفي بوعدها لألآن بعدم اطلاع الكونتيسة على حقيقة زواجها. وبهدوء قالت:

«اني أخشى أن يكون مشروعك عديم القيمة، يا أمي. لن يغار ألآن عليّ أبداً. ليس هناك اي سبب يجعله يغار ما دام يعرف أني أقضي وقتي معك أو في الحقول.»

«هه...يجب أن ندخل لويس في خطتنا هذه...اني اعرف تماماً أن لويس سريع النكتة، وهو حاضر باستمرار ليلعب الدور المطلوب منه. نعم، يجب علينا أن نستشير لويس بالأمر.»

كان يبدو لفلورا أن عليها أن تقنع الكونتيسة بعدم جدوى تنفيذ هذا المشروع. لكن قبل أن تجد الحجج اللازمة، قالت الكونتيسة:

«يجب إقامة حفلة في القصر.»

نهضت الكونتيسة وأخذت تتمشى طولاً وعرضاً وقالت:

«أصدقاؤنا وجيراننا في انتظار أن نتيح لهم المجال ليرحّبوا بعودة ألآن، وليتعرفوا اليك، أنت الكونتيسة الشابة، يا ابنتي العزيزة. لقد أخّرت موعد اللقاء واعتذرت اذ قلت أنكما لا تزالان في شهر العسل. لكنهم يعرفون الآن أن ألآن يتردّد يومياً على المصنع. ولا مجال ليرفض إقامة حفلة عشاء عندما أخبره بذلك.»

توقّفت ثم سألت فلورا فجأة:

«والآن، اخبريني، هل عندك الجرأة لذلك؟»

لم تجد فلورا الشجاعة الكافية لتهدئة آمالها وحماسها. كانت تنظر الى حماتها من دون أن تقول شيئاً. ولمّا صفقت الكونتيسة بقدمها علامة نفاذ الصبر، همست فلورا تقول:

«عظيم، اذا كنت تعتقدين أن ذلك يعطي النتيجة المرجوّة...لا مانع من التجربة.»

استرخت العجوز وقالت ببساطة:

«لن يتأخّر ألآن في أن يجد فيك كل اللطف والسحر، يا عزيزتي. و لا شك أننا متى وصلنا الى غايتنا، فلن ندعه يشفق على حاله وسوف يرغب حينذاك باستعادة بصره، إذاً لن يعود قادراً على تحمل أي عائق في طريقه.»

قالت فلورا بصوت ضعيف:

«آه، يا امي. آمل ألاّ تكوني مخطئة. إني أودّ ان يحصل ذلك من كل

قلبي.»

انحنت الكونتيسة ووضعت يدها على ذقن فلورا وشاهدت الدموع في عينيها وقالت بلطف:

«لا تذرفي الدمع، يا صغيرتي، إلاّ اذا كانت دموع الفرح. هيّا امسحي عينيك، هناك شيء أريد أن أريك اياه.»

نهضت فلورا فتأبطت الكونتيسة ذراعها وأدخلتها الى القصر ثم قالت:

«صباح اليوم، طلب مني ألآن أن أريك جواهر العائلة، كي تختاري منها ما يناسبك. كنت قد نسيت، لكنني تذكّرت الآن. انني متأكدة من انك توافقين على أن هذه البادرة من جانب ألآن بشير خير.»

لا للأسف. هذا ما كانت فلورا ترغب في قوله، وهي تتبع الكونتيسة في اتجاه المكتب. إن الكونتيسة لا تعرف أن ألآن يريد من إعطائها الجواهر تسديد الدفعة الأولى من الدين الذي يعتقد أن فلورا تستحقه.

٨ ـ متحدان... منفصلان دائماً!

اللآلىء البيضاء كلون الحليب، متناسقة على الوجه الأكمل، وتشكّل حبات عقد طويل يصل الى الخاصرة. وطقم من المجوهرات المصنوعة من الماس واللؤلؤ مؤلّف من تاج وعقد وحلق وأسوارة، يستريح على المخمل الأسود. وأنواع مختلفة من الحلي، كالياقوت الأسود، والياقوت الأزرق، والزمرد، مركّبة على الذهب الناعم، تشكّل مجموعة متناسقة من الخواتم والعقود والأساور والحلق والبروشات. لقد أخرجت الكونتيسة كل ثروتها من صندوق مجوهرات كان مخزوناً وراء جدار في غرفة المكتبة، وفتحت معظم العلب بعد أن وضعتها على الطاولة أمامها. وأمام هذه الروعة، تراجعت فلورا الى الوراء، الى حدّ الاشمئزاز.

كان يمكن ان تفرح أمام غنى الألوان، وأمام نضارة الرسوم في هياكل الحلي. لكن بالنسبة إليها، كل لؤلؤة هي دمعة، وكل حبة ماس تذكّرها بقسوة عيني الآن.

قالت الكونتيسة وهي تحني رأسها:
«أيّة حلية تفضلين، يا حبيبتي؟»

تلعثمت المرأة الشابة:
«إنها كلها رائعة حقاً، يا أمي. انها شديدة الجمال الى درجة أني لا أستطيع وضعها عليّ. سيتملكني خوف كبير اذا اضعت شيئاً منها».

«هيّا اذاً أنت الكونتيسة تريفيل، وستعتادين بسرعة ارتداء المجوهرات الثمينة والقيّمة. إن جيراننا يستقبلون كثيراً وعليك أن تلبي دعواتهم. لنرى، ونقرّر معاً أي نوع من الحلي يناسب جمالك الناعم!».

لكن بوغم رغبتها القوية في ارضاء الكونتيسة، لم تكن فلورا قادرة على أن تظهر حماساً حقيقياً، وسرعان ما شعرت المرأة العجوز بعدم اهتمام كنّتها بالأمر. وفي ارتباك هزّت الكونتيسة الأم كتفيها وأعادت الحلي الى علبها وأغلقتها بخشونة، تعبّر بها عن خيبة املها.

شعرت فلورا بأنها جرحت شعور حماتها وأرادت أن تخفّف من خيبتها. وفي إحدى العلب المخفية في طرف الصندوق وجدت مدالية صغيرة من الخزف الأزرق، تحملها سلسلة ذهبية نحيفة. مدّت فلورا يدها مصطنعة اللطف وتناولت المدالية وقالت بنبرة نادمة جعلت الكونتيسة تضحك بالرغم منها.

«هذا... هذه الجوهرة تعجبني».

تناولت منها المدالية وقالت:
«هذه؟ إنها تقريباً من دون قيمة تذكر، يا ابنتي! لقد أهداني اياها لويس، منذ سنوات عديدة، في مناسبة عيد زواجي. وأعتقد انه منذ ذلك الوقت والمدالية هنا».

كانت المدالية تتأرجح في طرف السلسلة، محدثة بريقاً أزرق تحت

تأثير نور الشمس.

قالت فلورا بارتباك:

«هذا يعني أن عليك أن تحتفظي بها داخل العلبة».

«كلا. اني مغتبطة لأنك وجدت شيئاً يناسبك يا ابنتي الصغيرة. انظري».

كانت تشير الى نقش على الميدالية يقول: «متحدان، لكن منفصلان دائماً».

شعرت فلورا بقلبها ينبض بسرعة مؤلمة. يا لهذا الماكر، الذي أرادها أن تختار بالضبط ما يعبّر حقيقة عن الوضع الحالي بينها وبين الآن.

الثوب الحريري الذي كانت ترتديه في السهرة، كان في حاجة الى شيء يخفّف من حدته، وكانت المدالية الصغيرة تؤدّي هذا الدور بشكل رائع. وتراءى لها أن كل زفرة تخرج من صدرها هي صدى للكلمات المنقوشة على المدالية التي لا تراها العين بقدر ما هي محفورة في القلب بأحرف نارية:

«متحدان منفصلان دائماً».

ألآن وهي كانا في ليلة عرسها انساناً واحداً. لقد نبض قلب زوجها فوق قلبها في حرارة، لا تزال حتى اليوم، تترك آثارها على شفتيها الحنونتين. وفي جسمها المتشوّق. واذا لم تبق لها إلاّ ذكرى تلك الليلة، فلن تندم، حتى ولو اضطرا في المستقبل الى أن يبتعدا، فستظل لحظات الانصهار الكلي ملازمة إياها الى الأبد.

أغمضت عينيها لتبعد عنها تعاستها المنعكسة في المرآة. وظلّت جامدة لفترة طويلة، تحاول أن تحبس الدموع التي تتدفق من عينيها.

دخل ألآن من دون ضجة. وعندما سمعت فلورا صوته، انتفضت مذعورة:

«كنت مع والدتي منذ برهة، وأخبرتني أنه لم تعجبك أي من الحلي والمجوهرات!»

التفتت فلورا اليه ومن دون وعي وضعت يدها على الميدالية الصغيرة الزرقاء كأنها تعويذة تحميها من الخطر. وقالت بصوت صدر عن حنجرتها المؤلمة:

«بالعكس. إن الحلي ذات جمال رائع، وثمن باهظ. لا يمكنني وضعها بدون خوف من إضاعتها. يجب، يا ألآن، ألاَ تنسى أني فلاَحة من قرية صغيرة، ولست معتادة على هذا الغنى. أرجوك ان تفسح لي المجال حتى أعتاد ذلك».

كانت تنتظر منه جواباً ساخراً، لذلك حبست تنفسها. لكن صوت ألآن كان يحمل ظلاًمن الحنان:

«ايتها الفتاة المسكينة البسيطة. لماذا تصرّين على هذا المنطق؟»

وأمام هذا اللطف الذي لم يعوّدها عليه، اتسعت عينا فلورا الزرقاوين قلقاً. اقترب ألآن منها، فتراجعت الى الوراء بعنف جعلها تسقط الكرسي الصغير، الذي اصطدم بالطاولة، فتلاطمت قوارير العطور محدثة ضجة عالية. وحينئذ، وضع يده في جيبه، كأنه يعلن الهدنة.

شعرت بالندم وتقدّمت منه، تنوي ملامسته، لتبادله شعوره من دون كلام. لكن وجه ألآن الجميل الداكن تسمّر، واعتلى الحقد المتزمت شفتيه وقال:

«لا داعي للتهرّب مني! لقد جئت لأراك، بناء لطلب امي التي ترى

أني اهملك. وهي تجهل انك تفضلين لامبالاتي على اهتماماتـي، ولا أريدها أن تعرف هذا».

ارادت الاحتجاج لكنه تابع يقول:

«لقد أجبرتني على قبول مشروع آخر. لا يعجبني أيضاً، لكني وعدتها بأن اشترك فيه. سوف نقيم حفلة عشاء كبيرة من أجل أن يتعـرّف اصدقاؤنا وجيراننا الى الكونتيسة الجديدة. والدتي ستساعدك في تنظيم كل شيء. انها مضيفة رائعة، وليس لك سوى ان تتبعي نصائحها. سأنهمك في اعمالي داخل المختبر، في هذين الأسبوعين ولن يكون في استطاعتي مساعدتك، لكني متأكد انك ووالدتي سوف تدبران الأمور بنجاح، وبذلك تطمئن والدتي على موقفي تجاهك، وستكون، بالنسبة إليك، فرصة رائعة لتعتادي وضعـك الجـديد. وفي المقابـل، الجميع يكونون فرحين».

راحت فلورا تقول لنفسها وهي تحدّق فيه، انها لم تر في حياتها انساناً أتعس منه. ويبدو أنه حتى وجود سولانج الدائم واستعادة صداقتها القديمة، غير كافيين لأزالة التعاسة من نفسه.

«سوف ننزل معاً الى قاعة الاستقبال».

وقدّم لها ذراعه لتتأبطها. ومَن دون همسة وضعت أطراف اصابعها على كم بذلته البيضاء. فتقلّصت عضلات ذراعه تحـت تأثـير هذا الضغط الخفيف، كأنه يحاول كبت أي ردّة فعل يمكن اعتبارها دليل صداقة.

وخلال العشاء، لم تستطع فلورا التوقف عن التفكير بالخطة التي رسمتها الكونتيسة، في النهار ذاته. فقد اطلعت لويس على الأمر. وما إن جلست فلورا على الطاولة حتى بدأ لويس يغازلها.

انحنى صوبها وغمس نظره في نظرها وهمس قائلاً:

«هذا مديح منك واطراء أنك أردت ارتداء هذه المدالية، التي هي اسهام متواضع مني لكنوز تريفيل. هل هذه المدالية بالذات أعجبتك، او لأنني أنا من اشتراها وأنت تحبين الذي اختاره أنا؟»

فوجئت فلورا ولم يتسنّ لها الوقت لتجد ردّاً عليه. فأخذت الكونتيسة الكلام عنها. ومن دون أي ارتجاف في عينيها، أعلنت في صوت عال:

«أعجبت فلورا هذه المدالية، منذ اللحظة التي وقع نظرها عليها، يا لويس. فقد أهملت كل ما تبقّى من جواهر لصالح جوهرة صغيرة أهديتني اياها منذ زمن بعيد. هل أنت حاقد عليّ لأنني تنازلت عنها لفلورا؟»

«أنا. بالعكس، اني مبتهج، يا أمي. لقد اعطت فلورا الحياة لتلك الميدالية. اني احسدها لأنها معلقة على صدرها».

احمرّ خدا فلورا بشدّة، ولم تستطع تجاهل ألآن، الذي كان يبدو هادئاً يصغي الى الحديث بدون اهتمام، لكن فلورا لاحظت أنّ يديه تحاولان السيطرة على النفس. أما سولانج، اليقظة باستمرار، فقد قالت في نبرة ساخرة وعيناها تحدّقان في وجه فلورا المحمرّ خجلاً:

«يا فلورا المسكينة! لا داعي للارتباك الى هذا الحدّ. ان لويس يحب التنكيت ويجب عدم اعتبار كلامه جدياً، خاصة من فتاة بسيطة مثلك».

ثم التفتت نحو لويس وأضافت:

«لكن يجب الاعتراف أنّ مزاجك له تأثير سعيد، إنّ وجنتي فلورا الورديتين وعينيها اللامعتين، تجعلها جميلة، أليس كذلك؟»

ومن دون أن تدري، كانت سولانج تشارك في المؤامرة وكانت الكونتيسة الام مبتهجة لهذا الأمر. فقالت مؤيدة:
«كلامك صحيح يا سولانج».
ثم وجّهت كلامها الى لويس:
«يبدو، يا لويس، أنك تملك موهبة إبهاج فلورا. فهي تبدو شديدة السعادة من خلال الطاولة».
«وفي المقابل. اني اتمتع باستمرار بالذوق الرفيع لأسعاد النساء الجميلات، وان جمال فلورا هو نادر وفريد من نوعه».
وفي عنف مفاجىء، وجّه حديثه الى ألآن:
«أليس مزعجاً للغاية، يا ابن عمي العزيز، لأنسان مثلك أن يملك زوجة ذات جمال يحسده عليها كل الرجال، وهو غير قادر من الاستمتاع بها كلياً. لو كنت مكانك لما تخلّيت يوماً عن الاستمتاع بالمرأة التي أملك».
قالت الكونتيسة في نبرة احتجاج:
«لويس!»
كانت تريد افهامه أنه ذهب بعيداً، لكنه اكتفى في هزّ كتفيه من الشعور بأي ندم وتابع يقول:
«هل انت من رأيي، يا ألآن، او أنك متألم من الكبت والحرمان؟ لو كنت مكانك...»
وبحركة مقصودة، طوى ألآن فوطته. كانت فلورا تراقبه في نظرة قلقة عندما قال بصوت مزعزع:
«لو كنت مكاني، يا لويس؟ لكن هذه الأمنية ليست جديدة بالنسبة اليك، أليس كذلك؟ انها تعذّبك مدى الحياة. لو كنت مكاني، لتسلّمت

ادارة أعمالنا وكل الأموال التي تريد صرفها، وكم نحن سعداء أنك لست مكاني. لن يتسنَى لك المجال أن تضع يدك على الأعمال، وعلى القصر... ولا حتى على زوجتي!»

كانت عيناه كأنهما في شعلة باردة.

نهضت فلورا. العداوة التي اكتشفتها فجأة بين الرجلين ترعبها.

«لا، يا ألآن، يجب ألاَ تتكلم بهذه اللهجة! أنت فهمت خطأ. يحاول لويس أن يفيد...»

«نفسه».

كان يتحداها ان عاكسته. كانت تريد تبنّي هذا التحدي. ربما كان لويس انساناً ضعيفاً، لكنه ليس الرجل الضال كما يراه ألآن. لكن الكونتيسة تدخلت:

« ألآن، لويس».

كان صوتها حاداً كالحديد.

«سوف تنهيان هذا المشهد المؤسف، في الحال».

لكن، في غضب لا يراعي شعور أحد، نهضا وجهاً لوجه، كأنهما على استعداد للمبارزة، بينما كانت الكونتيسة تنتظر أن يطيعا امرها. كانت عينا سولانج تلمعان فرحاً، انها امام تجربة لن تشهد مثلها في مجتمعها المتمدن. وفي هذا الصمت المتوتر، تنهّدت فلورا، فالتفت لويس نحوها، وأمام محنتها بدا خجولاً ونادماً. فقالت متمتمة:

« لويس،، ارجوك!»

فابتلع غضبه وضحك، وبنبرة خفيفة، أعلن عن انهزامه وقال:

«سامحني يا ألآن. ان كلماتي غير لائقة فأرجو أن تعذرني».

وبدلاً من الاسترخاء، خاب أمل ألآن لدى رؤية فريسته تتهرب

منه. اكتفى بأن هزّ رأسه المتغطرس ومدّ يده في اتجاه سولانج حتى تقوده خارج الغرفة.

وعندما انغلق الباب، ترك لويس جسده يقع على الكرسي، منهوك القوى. وقال بارتياح:

«اوف. لقد اعتقدت للحظة أننا سنتبارز».

التفت نحو الكونتيسة التي كانت ما تزال مضطربة:

«أمي، ارجوك. اذا كانت عندك أفكار أخرى، من أجل اثارة انفعالات الآن أرجوك ألاّ تشركيني فيها. أفضل مئة مرّة أن اضايق نمراً نائماً على أن أعيش من جديد لحظات كهذه».

لكن الكونتيسة لم تبد فرحة. كانت ترتجف. جلست على الكرسي وقالت بصوت قاس ومتّهم:

«لقد أظهرت قسوة كبرى تجاه الآن يا لويس من دون شفقة وعن قصد... وهذا لن أسامحك عليه».

ثم أضافت بصوت دامع:

«لماذا، يا لويس؟»

وأمام نظرات الكونتيسة المليئة باللوم والتأنيب، احمرّ وجه لويس وراح يرتجف بانزعاج. أراد أن يردّ عليها، مرّر يده في شعره وراح يباشر الدفاع عن نفسه اذ قال:

«فكّرت أنّ الطريقة الوحيدة لأخراجه من قوقعته هي أن اهاجمه فيما يتعلق بعاهته. وحسب ما فهمته منك، هذا هو الهدف المفروض اصابته».

بهدؤ وضعت فلورا يدها على كتفه معبّرة عن تعاطفها معه ثم قالت:

«إن تصرفك وليس الكلام الذي نطقت به هو الذي جعل التوتر يدخل الى قلب أمي».

ثم أضافت والقشعريرة تختلجها:

«انه شيء مؤسف ومروع أن نراك على استعداد لخوض معركة مع ابن عمك... الاعمى».

اصفر وجهه وقال:

«اني أفهم».

وبعد صمت قصير استطرد يقول:

«ان تهكمه ينسيني أنه اعمى، أحياناً، عندما اراه ينزل السلم مسرعاً، أو عندما يتوجّه نحو مقعده من دون تردّد، اتساءل ما اذا كان أعمى بالفعل، أو انه يتصنّع ذلك ليخدعنا».

أرادتا مقاطعته، لكنه هزّ كتفيه:

«نعم، أعرف، أعرف. هذا مستحيل! إنه أعمى حقاً، واني خجول لمحاولة تحدّيه. لكن ما اطلبه منكما، هو أن تشرحا لي، كيف في استطاعته ان يتدبر أمره بهذه السهولة؟ هل يملك حساً اضافياً، لا نملكه نحن؟»

أجابت فلورا ببساطة:

«انه يعدّ...»

ردّد لويس باستغراب:

«يعدّ؟»

«نعم. وفي أي مكان يتنقل بهذه السهولة والطمأنينة، يكون قد عدّ سرياً الخطوات مسبقاً، حتى انه يعرف تماماً كم هو في حاجة الى خطوات ليحقّق هدفه».

بقي لويس متعجباً كالأخرس. فقالت فلورا:

«نعم، لقد سمعته. ليلة بعد ليلة، عندما يعتقد أنّ الجميع نائمون، يسير في الممرات وعلى الدرج في غرفته... ويعدّ من دون توقف. ثم يعود ويظل يعدّ، الى ان يتأكد من قدرته على التنقل بدون أن يخشى التعثر».

قال لويس في صوت مبحوح وعيناه تحدّقان في وجه فلورا الهادىء.

«يا إلهي، ما هذه المعاناة... وما هذه الشجاعة!»

تدخّلت الكونتيسة وقالت:

«ما من احد يشكّ في ذلك. حتى ولو كانت فيه بعض النواقص، فان ألآن برهن أنه شجاع ما فيه الكفاية».

وللحظة قصيرة كانت فلورا تخشى أن تفقد اعصابها التي تحافظ عليها. لكن المرأة العجوز رفعت رأسها ووجّهت للجميع ابتسامة عريضة وقالت:

«هيّا، يا اولادي. ما حدث معنا الليلة يجب ألاّ يفسد مخطّطنا. هل اتفقنا؟»

استعاد لويس طبيعته وقال وهو يحيي الكونتيسة تحية عسكرية:

«اتفقنا، ايتها الكولونيل!»

لكن عندما تطلّعت الكونتيسة، الى فلورا، احمرت المرأة الشابة وجاهدت قبل ان تقول بصعوبة:

«اني... اني سأحاول... ما دمت متأكدة، يا أمي، من ان هذا سوف يساعد ألآن».

٩ ـ زهرة الحب

كَانت فلورا تذهب يومياً الى حقول الزهر الممتدة كأنها مزرعة. منذ ثلاثة أسابيع وهي منهمكة في مساعدة الكونتيسة على تنظيم حفلة العشاء التي جاء موعدها هذا المساء بالذات، كما كانت في الوقت نفسه ترتبط من جديد مع الأشخاص والأصدقاء الذين تعرّفت اليهم من بين العاملين في المزرعة. أحبها الفلاحون وكانوا فرحين ومسرورين للأهتمام الذي منحته فلورا لهم ولعائلتهم. وكانت تشعر عندما تكون معهم كأنها بين أهلها.

ان هؤلاء القرويين يحبونها باخلاص، يضحّون بكل شيء من أجلها. لا يعرفون لماذا. ربما لأنها خشبة خلاصهم او لأنهم اكتشفوا ان المحبة أعظم من الولاء.

انها فترة ما بعد الظهر، والطقس حار جداً. ابتسمت فلورا وهي تتمشى في خطى سريعة اذ تذكّرت، انه منذ نصف ساعة، أصرّت عليها الكونتيسة أن تذهب الى غرفتها وتستريح، لأنها بدت، متعبة

وشاحبة الوجه. حاولت فلورا اقناعها بأنها تشعر بنشاط وقوة، لكنها سرعان ما خضعت لألحاح حماتها وصعدت الى غرفتها للتخلّص من العناية الزائدة التي كانت الكونتيسة توليها إياها. لكن الطقس جميل، السماء زرقاء ملتهبة والمنظر المحيط يشبه باقة العروس تحيط بها دائرة خضراء من أشجار السرو العالية. فلم تتمكن فلورا من مقاومة رغبتها الملحة في الخروج الى الطبيعة.

كانت الأفكار تتجاذبها. ماذا أريد من هذا الرجل. أنا أعرف أنه يتعذب وأعرف أني أحبه. ومع ذلك أتردّد. لقد تزوّجت منذ شهر تقريباً. وخلال الأسابيع الثلاثة التي مضت، لم تشاهد ألآن إلاّ نادراً. كانت تلمحه كل صباح من نافذة غرفتها، عندما يقودونه الى المعمل. وكذلك تراه في المساء من جديد، لكن متأخراً. منذ الاصطدام الذي حصل بينه وبين لويس، تعوّد أن يتناول طعام العشاء في غراس برفقة سولانج، بحجة ان عمله الكثير والملح لا يسمح له بالوصول الى القصر في وقت العشاء.

وهكذا فان مشروع الكونتيسة الطموح لم ينجح. أما فلورا فقد اقتنعت خلال الأسابيع الماضية أن ألآن نادم على اندفاعه الذي جعله يتزوّج فتاة شابّة لا يعرفها.

وبلا وعي أكملت فلورا طريقها في الاتجاه الصحيح. واذا بها تسمع أصوات الترحاب والبهجة الصادرة من القطافين. ولمع وجهها للحال وردّت عليهم التحية. فهي تشعر بارتياح عندما تكون مع هؤلاء الأصدقاء الجدد.

امضت ساعة مرحة وهي تتنزّه بين صفوف الشجيرات، تثرثر مع العمال الذين لا يتوقفون عن العمل. بعضهم، في لغة انكليزية

ضعيفة، يقصون عليها آخر أخبار عائلاتهم ويقهقهون معها كلّما عجز أحدهم عن ايجاد الكلمات اللازمة في لغة لم يتعودوا النطق بها. ومع مضي الوقت، شعرت فلورا بالعوارض الأولية لصداع بدأ ينخر رأسها. وفي الوقت نفسه بدأت صفوف العمال تخف إذ إنّ القطافين يأخذون وقتاً للراحة كل يوم في هذه الفترة من بعض الظهر، عندما تكون الحرارة في أوجها. وقبلت فلورا دعوة الأم فيكتوريا الى تناول الطعام معها.

رفضت تناول الخبز والجُبنة الحادة والبصل، لكنها تناولت فنجان قهوة. كانت الأم فيكتوريا تحدّق فيها وهي تشرب، فلاحظت شحوب وجهها وأنبتها لأنها لم تكن تضع قبعة على رأسها.

«شمسنا أكثر حرارة من شمس انكلترا، يا كونتيسة».

ثم صرخت في صبي كان يمر راكضاً:

« جان بول! اذهب واسأل والدتك، اذا كان في امكانها أن تعير قبعتها الجديدة الى الكونتيسة. بسرعة! قل لها إني أنا التي ارسلتك».

احتجّت فلورا:

«لا، ليس هذا ضرورياً...»

لكنها سمعت الفتاة الشابّة، ذات العينين السوداوين الواسعتين اللتين لم تتوقفا عن التحديق في وجه فلورا، تقول في خجل:

«إن الأم فيكتوريا على حق، يا سيدتي الكونتيسة. حرام أن تفسدي لون بشرتك الناعمة».

ووافقت المجموعة التي تحيط بها على ما قالته الفتاة، فاحمرّ وجه فلورا بشدة. وتدخّل أحد القطافين ليمدح فلورا قائلاً:

«إن اسمك يليق بك، يا سيدة فلورا. واذا سمحت لي فاني اقول أن

بين كل الأزهار التي تنبت من حولنا، أنت أجملها. ولدينا الآن السبب للأحتفال، ما دام السيد ألآن أنهى تجاربه. أولاً: الاحتفال بقدوم أجمل زهرة الى عائلة تريفيل وثانياً اختراع أدق عطر لم يسبق لمعامل تريفيل أن صنعت مثله».

وضع أصابعه على شفتيه وراح يقبلها ويقول:

«آه، أي نصر حققه سيدي الكونت».

هكذا اذاً، أنهى ألآن أعماله. ولم تجرؤ فلورا أن تقول لهؤلاء الرجال أن العطر ليس لها، وأن لسولانج الحق فيه أكثر منها.

فجأة، اختلطت الوجوه السعيدة التي تحيط بها، بكثافة السحب في الفضاء، ولم تعد تراهم إلاّ من خلال الضباب الحار. إن عطر الزهر الثقيل يختلط برائحة الأجبان والثوم، وشعرت بعدم قدرتها على التنفس. والأصوات حولها بدت وكأنها قرقعة وضجيج. أخيراً، انزلقت من مقعدها وتركت الغياهب تبتلعها وتجرفها في موجة لا ترد.

عندما استعادت وعيها، كانت ممدّدة على فراش صغير، في أحد منازل القطافين. الغرفة مظلمة، والصمت يعمّ. وللحظة ما، تساءلت فلورا أين هي. أرادت ان تنهض، لكن وجه الأم فيكتوريا المتجعد ظهر فوق رأسها:

«لا تتحركي يا ابنتي. انتظري قليلاً. دعي الوقت يساعدك لتستردّي قواك»

تركت فلورا رأسها يقع على الوسادة وقالت:

«معك كل الحق في أن توبّخيني، أيتها الأم فيكتوريا. لا شك أنني تعرّضت الى ضربة شمس».

قالت الفلاحة العجوز وهي تهز رأسها معبّرة عن القلق:

«نعم. كان علينا أن ننبّهك مسبقاً الى بتأثيرات الشمس. وما سيقوله السيد الكونت عندما يطلع على اهمالنا. لا اجرؤ أن أفكّر بذلك. إننَالنستحق أن يقبض علينا، لأننا اغبياء».

«آه، انك لا شك تمزحين».

وحاولت فلورا من جديد الجلوس، لكنها شعرت بدوار، فعدلت عن ذلك. وراحت تحاول أن تخفّف عن العجوز المخاوف التي تساورها فقالت في صوت خفيض:

«أنا الوحيدة المسؤولة عما حدث لي. ما كان ينبغي أن أتنزه عارية الرأس في هذا الحرّ اللاهب. وبعد ان استريح قليلاً، سأعود الى القصر، ولا أجعل أحداً يعلم ماذا حدث».

صرخت العجوز وقد شحب لونها:

«يا إلهي! ليس ذلك وارداً، يا كونتيسة! إن أحداً من رجالنا سيقودك الى القصر. يكفي ما عانيته من حماقتنا، ولن يبدر منا أي تقصير أو اهمال مرّة اخرى! عندما تشعرين بالراحة وتصبحين على استعداد، سنأخذك الى القصر في إحدى الشاحنات».

لم تستطع فلورا اقناع المرأة العجوز بالعدول عن رأيها فقد أصرّت على موقفها. وهكذا بدلاً من أن يكون في استطاعتها أن تدخل إلى غرفتها سراً من باب خفي، كما كانت تنوي أن تفعل، أنزلت الشاحنة فلورا أمام القصر محدثة ضجة أيقظت الجميع.

خرج الخدم لتوهم. فشرح لهم السائق ما حدث لفلورا. وفي أثناء ذلك ظهرت الكونتيسة الأم على احدى الشرفات وراحت تسأل بدورها طالبة تفسيراً مفصلاً. ألقت نظرة الى وجه فلورا الشاحب وأعطت للحال أوامر واضحة. وقبل أن يتسنى لفلورا أن تعي ماذا يحدث،

وجدت نفسها بين أيدي اشخاص يحملونها ويضعونها في سريرها ويقفلون الستائر لأخفاء النور القوي. فشعرت بألم بالغ يحفر في رأسها ويقرع كالطبل.

لم تلمها الكونتيسة، لكنها كانت قلقة على فلورا وهي تتأمل وجهها المشدود من شدّة الألم. فقالت لها:

«حاولي أن ترتاحي، يا ابنتي الصغيرة. فلن يتأخر الطبيب عن المجيء».

لم تستطع فلورا الكلام، كانت تتنفس في عمق وتغمض عينيها.

خرجت المرأة المسنة من الغرفة على رؤوس أصابعها وأغلقت الباب وراءها من دون احداث ضجة.

استيقظت فلورا بعد ساعات طويلة. وشعرت بأن الألم زايلها. وبحذر، رفعت رأسها. ثم تركته يسقط في الوسادة وابتسمت بارتياح. وللحظة، تساءلت ما إذا كانت حالتها ستمنعها من حضور حفلة العشاء. بالنسبة إليها، لن تستفيد من ذلك شيئاً. لكن بالنسبة الى الكونتيسة، فستكون حزينة لأضاعة كل هذه الاستعدادات التي استمرت أسابيع سدى.

تحرّكت في سريرها، وفوجئت عندما سمعت صوتاً سألها في عتمة الغرفة:

«هل استيقظت؟»

نظرت حولها نحو مصدر الصوت، وشاهدت ألآن واقفاً قرب النافذة.

أجابت بصوت ضعيف وكأنها تلميذة في انتظار التأنيب:

«نعم، شكراً».

تكلّم بصوت خفيض. وراح قلب فلورا ينبض بسرعة. وعندما

اقترب الآن نحوها، شبكت يديها وحاولت جاهدة أن تضبط ارتعاش جسمها. جلس على طرف السرير، قريباً منها وقال:

«قيل لي إنك لم تكوني في حالة جيدة في الأسابيع الماضية. كان يجب إعلامي بالأمر قبل الآن».

وقطّب حاجبيه وأضاف:

«واليوم بعد الظهر، طلبت من الطبيب أن يجري لك فحوصات شاملة».

تلعثمت فلورا وقالت:

«هل جاء الطبيب؟»

هزّ رأسه:

«أنا الذيّ جئت به الى هنا، عندما اتصلت بي امي هاتفياً لتعلمني انك مريضة. وعندما وصلنا الى هنا، كنت نائمة، لكنه تمكن من إجراء الفحوصات اللازمة من دون ايقاظك. قرّر أنك في حاجة الى نظام غذائي خفيف. ولمدة اسبوع عليك ألاّ تعرّضي نفسك الى أشعة الشمس وخاصة عند الظهيرة، أي في الساعات الأكثر حرارة. يمكنك أن تنهضي من سريرك ساعة تشائين، لكن عليك ألاّ تقومي بأي جهد متعب».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة لم تكن تنتظرها. وقال وهو يرفع حاجبيه:

«الكلاب المصابون بمرض الكلب، والأنكليز، هم الذين يخرجون في هذا الحرّ من دون قبعات على رؤوسهم. حتى القطافين المعتادين على هذا الحرّ لا يعرّضون اجسامهم الى شمس الظهيرة. اما أنت فقد فعلت العكس كيف ستدافعين عن جنونك وكبريائك واستقلاليتك البريطانية؟ هل تعديني بأن تكوني أكثر حذراً وتعقلاً في المستقبل؟»

كان جواب فلورا بالنسبة اليه ذا أهمية كبيرة. ويبدو أنه قرر

البقاء مكانه حتى يتأكد من أنها ستفعل ما طلبه منها.

«نعم. إني أعدك».

وللحظة عمّ الغرفة صمت عميق ولم يقم ألآن بأية مبادرة ليكسره. وكانت فلورا تعي أكثر فأكثر هذا الجسد النحيف والقوي، القريب جداً منها. تركت يديها ترتاحان على غطاء السرير الحريري، وحركة أصابعها المتوترة جعلت يداها تلتصقان بيدي ألآن. وأرادت ابعادها. لكن أحست بقبضة يده تشدّ عليهما. فارتعبت من الذهول الذي اجتاحها. إنها المرّة الأولى التي يتم فيها تقارب حقيقي منهما، منذ ليلة عرسهما، عندما أثار الغضب والاحتقار الشغف عند ألآن الذي فقد كل مراقبة على تصرفاته. لكن، هذه المرّة لم يلعب الغضب أي دور. وفي هذه اللحظة القصيرة، شعرت فلورا أن في داخل ألآن عاطفة عميقة، عاطفة يخفيها بتصرفاته وحبه للسيطرة..

فجأة لم تعد قادرة على احتمال وجوده القريب منها مدة أكثر. إن اتصال اصابعها ألهب جميع أنحاء جسمها وأسرع نبضات قلبها الى درجة أنها شعرت بالدم ينبض في أذنيها. حاولت مرّة أخرى أن تسحب يدها، لكنه شدّ على قبضتها مرّة أخرى.

قالت في نبرة توسلية:

«اني... اني اشعر بتحسن كبير. ويمكنني النهوض حالاً. ربما حان وقت الاستعداد للعشاء».

أجابها بهدوء:

«لا داعي للعجلة. مضى زمن طويل لم نتبادل فيه الحديث. لماذا لا نستفيد من هذه الفرصة المناسبة الآن؟»

قطبت وجهها وهي تتذكر المحادثة الأخيرة معه وحاولت الاسترخاء.

لكن، عندما راحت يد ألآن تداعب خدها، شعرت وكأن كل حواسها في حالة تأهّب مفاجئة.

همس ألآن:

«جلدتك بنعومة المخمل. هل تحمرين خجلاً؟ إنّ خدّك يلتهب تحت اصابعي».

كان يلامسها بحنان غريب حتى أنها لم تعد قادرة على الابتعاد عنه. كانت مداعبته ناعمة، ليس فقط على خدها الحار، لكن أيضاً في قلبها المضطرب. وللمرّة الأولى منذ أسابيع، بدأت تشعر بسلام داخلي.

همست فلورا:

«يمكنك أن تظهر تفهماً، عندما تريد، يا ألآن ».

فوجىء، اذ جمدت أصابعه للحظة قبل ان تلمس كتفها.وقالْ:

«احترسي يا فلورا. لست مراهقاً يمكن ازعاجه قبل أن نقول له أن يخرج للعب».

كلماته تؤكد اللامبالاة التي ما زالت مستمرّة فيه. وقلب فلورا ينبض بألم. ملاحظة بسيطة تكفي لتحطيم توازنه العابر وادخاله من جديد في قوقعته. وببطء، همست والدموع تبلّل عينيها:

«اني زوجتك، يا ألآن».

شدّ ألآن على كتفها بأصابعه في عنف قوي وفضّلت أن تحتمل الألم من ان تفسد هذه اللحظة المذهلة .

أفلت اسمها من شفتي ألآن بالرغم منه. كان على وشك أن يشدها نحوه عندما سمع طرقة على الباب. وصوت الكونتيسة يمزّق نسيج انفعالاتها الدقيق.

«يا ابنتي العزيزة، كيف تشعرين الآن؟»

راحت عيناها اللامعتان تتنقلان من وجه فلورا الى وجه ألآن. كان قد نهض لدى دخول والدته ووقف على بعد خطوات قليلة من السرير. لم تكن ملامحه سوى قناع لا يتحرك. كانت الكونتيسة تخطّط باستمرار لأنجاح خطتها. وبنظرة معبّرة موجّهة الى فلورا، قالت:
«هل يمكن للويس أن يدخل. انه قلق منذ أن اخبرته عن مرضك وهو يلوم نفسه لأنه لم يعتن بك كما يجب. ولن يرتاح إلاّ اذا تأكّد بنفسه انك تحسنت!»

تجهّم وجه ألآن لدى سماعه اسم لويس على لسان امه. وبأسى اسقطت فلورا رأسها على الوسادة. وبرغم نواياها الجيدة، فان تدخل الكونتيسة دمرّ خيط التفاهم الدقيق. بذلت جهداً للتغلّب على محنتها وأجابت:
«لا مانع لدي، أرجوك، دعيه يدخل».

وأغمضت عينيها كي لا ترى ألآن يخرج من الغرفة في خطى واسعة.

هدأت فلورا ظاهرياً وراحت تستعدّ للسهرة. ان خزانتها الواسعة لم تكن فارغة. منذ أيام قليلة وصلت الملابس التي وعد بها ألآن، وأمامها الآن اختيار واسع من الفساتين لمختلف المناسبات. لكن امتلاكها لهذه الثياب كما بالنسبة الى المجوهرات، لم يكن يفرحها.

وقفت أمام الملابس العديدة وراحت تتساءل أي فستان تختار. وأخيراً تناولت فستاناً مصنوعاً من النسيج الحريري الثقيل، لونه يشبه لون الزهرة التي تكاد تتفتح. وضعته على السرير، لترتديه بعد ان تزيّن وجهها. اقتربت من المرآة وراحت تسرّح شعرها اللمّاع، ثم لفته في مؤخرة رأسها بشكل كعكة، ليصبح شعرها بعد ذلك وكأنه تاج

ملكي على رأسها. سوّدت رموش عينيها، ووضعت على شفتيها حمرة باهتة.

سمعت صوت التفتة الرنّان وهي ترفع الفستان. ارتدتـه وأقفلـت السحابة. مع كل خطوة تخطوها كان حفيف الفستان يزداد، مما جعلها تتخيّل أنّ ثمة شبح غاضب يائس يلحق بها باستمرار. عندما كانت ما تزال في انكلترا، قال لها ألآن أنه يحبها أن ترتدي الثياب المصنوعة من قماش التفتة، وهكذا يمكنه على الأقل أن يسمعها عندما تتحرّك. وليس غريباً أنه اختار معظم ثياب السهرة من القماش التفتة.

نظرت فلورا في المرآة ودهشت لأناقتهـا. عضّـت على شفتيهـا وقطّبت حاجبيها. ما زال الارتجاف حول فمها، عليها أن تخفيه. الكآبة السوداء في اعماق عينيها ستثير استغراب الناس الـذين ينتظـرون التعرّف الى عروس متألقة مبتهجة.

سمعت طرقاً على الباب. وتقلّصت من دون وعي. كانت ردّة فعلها أن ازاحت من درب ألآن حذاء ربما تعثّر به. اقترب ألآن، ثم توقّف واحنى رأسه جانباً. فهمت أنه سمع حفيف ثوبها.

قال وهو يلتفت يميناً ويساراً:

«فلورا؟»

انتظر ردّها لتؤكّد له مكان وجودها. فقالت:

«انا هنا».

كانت تتأمله برصانة وتتعجب من ضبط نفسه الذي يساعده على السيطرة على الغضب الذي ما زال في اعماقه. وبعد تردد قصير، قدّم لها ما كان يمسك في يديه وأمرها:

«آمل منك أن تضعي هذا العطر في المساء. إنه اختراعي الأخير، هو الذي

جعلني منهمكاً منذ وصولي. آمل أن يعجبك».

فوجئت فلورا وتناولت الزجاجة الصغيرة التي تضم العطر الذي كانت سولانج تحلم به. لماذا يقدّمه لها هي؟ ووجدت جواباً على سؤالها عندما أضاف يقول في لهجة باردة:

«إن معظم المدعوين الليلة هم اصدقاء وفي الوقت نفسه منافسون. ولا شك أن الجميع سمعوا بالعطر الجديد، وفكّرت أنها المناسبة الوحيدة لأقدّم لهم اختراعي الجديد وزوجتي التي هي الكونتيسة الجديدة »

أجابت فلورا:

«اني افهم تماماً».

وبطريقة الية أبعدت عنها الأمل المؤقت الذي راودها. لا، لم يخترها عمداً ليقدّم اختراعه الجديد. على الكونت تريفيل أن يحافظ على مركزه، وان يحترم الشرف العائلي. وبعد أن تنتهي المجاملات واللياقة، يعود العطر الى صاحبته الشرعية أي إلى سولانج!.

انتفضت بعنف عندما اقترب منها وقال:

«سأضع العطر بنفسي».

كان صوته بارداً كأن الحنان الذي عبّر عنه منذ ساعة تقريباً كان حلماً وليس حقيقة. كانت ترغب في الرفض، لكنه أخذ منها الزجاجة وفتحها وراح يضع من العطر على معصميها ويقول:

«من هنا يجب البدء بوضع العطر. ثم في تجويف الكوع...»

كانت تشعر كأن اصابعه تحرق جلدها.

«وبعد ذلك، العنق...»

نبض شريان عنقها بسرعة جنونية، بتأثير الاتصال وقامت بجهد يائس لتتوقف عن الارتجاف.

أضاف يقول بصوت أخف وطأة:

«لمسة هنا. ولمسة أخرى على الشفة العليا، وننتهي».

تركها ورجع خطوة الى الوراء، هادىء الأعصاب. كانت فلورا تشعر وكأنها فوق سحابة من العطر الساحر.

سألها بتهذيب كما لو أن جوابها ليس له أهمية كبيرة:

«هل يعجبك؟»

«نعم. كثيراً».

استدارت حول نفسها فامتدت التموجات العطرة حولها.

«اشعر وكأنني في قريتي من جديد، في الحديقة، بعد المطر، عندما يكون الهواء منعشاً وكل شيء ذا رائحة طيبة، نعم. إنه هذا حقاً».

ومن دون الانتباه الى نشوتها، قال:

«لا تضعي أبداً عطراً خلف الأذن او على الرقبة، فالرائحة تختفي وراءك. وعندما يستعمل العطر كما يجب، يمكن أن يحدث معجزات. ليس هناك طريقة للتعبير أكثر براءة أو دقة من تعبير العطر. يمكنه أن يعبّر عن روح المرأة، وعن طبيعتها. انه ملجأ لكل امرأة تتمنّى أن تبدو أكثر جاذبية وأكثر انوثة».

كانت ترشقه بنظراتها من غير أن تفهم. إذا كان العطر شخصياً الى هذا الحدّ بنظره، كيف يقبل أن تضعه امرأة غير التي صمّمه خصيصاً لها، وخاصة إذا كانت تختلف عنها اختلافاً كبيراً؟ شعرت للحظة أنها لا يمكنها أن تتحمّل هذا. إن انفعالاتها المعقّدة وضعف جسدها، ينذرانها بانهيار عصبي بالغ الأهمية. لو كان أمامها الوقت الكافي، لتوجّهت مسرعة الى الحمام وغسلت كل جسمها من العطر الذي صنع خصيصاً لغيرها. شعرت بالاحساس نفسه الذي تشعر به لو أنهّا اضطرّت الى

ارتداء ثياب امرأة أخرى، ونفرت هذه الفكرة. صوتها عبّر بوضوح عن هذا الاشمئزاز عندما أجابت:

«من يسمعك، يعتقد أنك تتكلّم عن اكسير المحبة المخصّص لأيقاع الرجل في المصيدة. وما تقوله يدلّ على وجود علاقة أساسية بين العطر والشخصية. واذا كان ما تقوله صحيحاً، يا ألآن، عليك اذاً أن تعمّق معلوماتك النفسية، بالنسبة الى فنّك لست مستعدة أن أحمل عطراً هدفه ايقاظ بعض الانفعالات لدى الرجال، وسأكون شاكرة لك إذا أعطيت ما تبقّى من هذا العطر للمرأة التي صنعته من أجلها. اما بالنسبة اليّ، فلن استعمله أبداً»

قطبَ حاجبيه السوداوين ورفع ذقنه باعتزاز وأجابها في كبرياء: «كما تريدين! كوني حاضرة خلال خمس دقائق لاستقبال الزوّار».

عندما غادر ألآن الغرفة، ظلّت فلورا للحظة متردّدة. ساعدها حزنها العميق في التغلّب على تردّدها. ترك ألآن زجاجة العطر على الطاولة. فحملته بسرعة وخرجت الى الممشى. كانت غرفة سولانج قريبة من غرفتها. ولمّا وصلت أمام الباب، دخلت من دون أن تطرقه، قبل ان تخونها شجاعتها. كانت قد قرّرت أن يعود العطر الى صاحبته. صحيح أنه يتوجّب عليها أن تمثّل دوراً في هذه المسرحية الهزلية التي فرضت عليها، لكن يجب اقناع سولانج، أن هذه المسرحية ستنتهي هذه الليلة.

كانت الغرفة فارغة. لا شك أن سولانج غادرتها لتوّها. أغراضها متشتتة في كل مكان من الغرفة، ولم يتسن للخادمة أن ترتبها. وفي اشمئزاز وقرف، راحت فلورا توسّع خطاها فوق الملابس الملقاة أرضاً، حتى وصلت الى منضدة الزينة حيث محارم الورق وسدائد

القطن، ودبابيس الشعر، تفضح اهمال سولانـج. وبنشـاط أزاحـت الأغراض ووضعت الزجاجة. وبعدها خرجت بسرعة من الغرفة ونزلت تلحق بألآن والكونتيسة.

بدأ وصول المدعويين في الوقـت الـذي وصلـت فلـورا قرب ألآن. وخلال الساعة التالية كانت فلورا منهمكة في حفظ أسماء ووجوه النـاس الـذين يمرّون أمامهـا. النسـاء الأنيقـات، والرجـال المتميزّون، الجميع يعبّرون عن فضول طبيعي وعن لطف عفوي أمام خجل فلورا المنتظر. الرجال، خاصة، لم يتوانو عن إظهار إعجابهم بها، وشيئاً فشيئاً، غابت عن ملامح ألآن البرودة واللامبالاة. وعندما جلس الجميع الى مائدة الطعام، كان تصرّف ألآن حيال زوجتـه طبيعياً. هي تعرف جيداً، أن اهتمامه بها ليس إلاّ لخداع أصحابه، وبرغم ذلك، كانت فلورا شديدة السعادة، اذ شعّـت البهجـة في وجههـا وبرقت عيناها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ناعمة.

ولخيبة أمل سولانج كانت تجلس بعيدة جداً عن ألآن بحيث بات صعباً عليها التحدث اليه. لكنها كانت تكتفي بإلقاء نظرات كره نحو فلورا. أما لويس فكان يجلس مواجهاً لفلورا. لكن، بعد العشاء، عندما بدأ المدعوون يتنقلون ويجلسون جماعات جماعات في غرفة الاستقبال، تمكّنت فلورا من الاسراع نحو ألآن.

كان يثرثر مع بعض رجال الأعمال الذين راحوا يمدحـون العطـر الجديد. وفلورا تتسلىّ بمراقبة هؤلاء الاشخاص الفضوليين وكادت تغرق في الضحك عندما أخذ السيد دوفيرو، وهـو أحـد المنافسـين لزوجها، يد فلورا وراح يشم العطر.

«آه!»

راح يفكّر ملياً ثم قال:
«إنها علامة غالية ومنعشة وناعمة».
وفي تحدٍّ، أضاف:
«تفاح البرغموت، زهر البرتقال، حامض، فيرفين، ليمون أفندي!»
«وماذا ايضاً؟»

وأمام هذا اللغز، بدا السيد دوفيرو وكأنه معرّض لنوبة قلبية. وراح السيد دي اسارت، وهو مدعو آخر يشرح لفلورا التي كانت مستغربة:

«السيد دوفيرو يتباهى أنه ذو بصيرة، يا كونتيسة. يرفض الاعتراف بعجزه أمام تقدير المحتويات التي استعملها زوجك لعطره الجديد. إنّ على الاختصاصي أن يكون قادراً على تحديد كل الفوارق الدقيقة لخلاصة الزهر، ومعرفة ما إذا كانت طبيعية أو اصطناعية. لكنّ الخليط الذي يمزجه ألآن لا يمكن تحقيقه لأنه بالغ النفقات».

وفرحت فلورا لمعرفتها أنّ ألآن ما زال يحافظ على مهارته التي أعطته شهرة واسعة. كانت على وشك أن تشكر السيد دي اسارت عندما تدخّل صوت سولانج في الحديث:
«هل وجدت اسماً لهذا العطر، يا ألآن؟»

كان السؤال تحدّياً، لكن ألآن لم يكن منزعجاً أبداً. فأجابها:
«نعم. سأدعوه: زهرة الحب».

وفي غمرة التهاني، كانت فلورا وحدها التي لاحظت الغيظ الذي ارتسم على وجه سولانج. هي أيضاً فوجئت مما قاله زوجها ولم تستطع منع نفسها من التحديق بالفتاة لأفهامها أن ألآن ليس في نيته أن يجرح شعورها. إن العطر ملك سولانج فقد اخترعه لها، وليس الاسم

الذي اختاره ألآن سوى لخداع اصدقائه. كانت فلورا متأكدة من هذا لدرجة أنها انتفضت عندما سمعت دي اسارت يقول من جديد.

«آه. زهرة الحب! اسم يليق بصاحبته، يا صديقي. إن اختراعك الأخير يرمز تماماً الى جمال زوجتك وشخصيتها، ويستحق أن يدعى بأسمها!»

انتفض قلب فلورا. وسمعت السيد دوفيرو يعترف قائلاً:

«نعم. هذا صحيح. لم تفقد شيئاً من موهبتك، يا ألآن».

ثم انحنى امام فلورا وأضاف:

«لا يمكن لأحد أن يشك في أن الكونتيسة زوجتك هي التي أوحت لك به. .. زهرة الحب! ان هذا المزيج الدقيق يعبّر تماماً عن شخصيتها».

كان عليها ان تسأل مهما كلّف الأمر، فقالت بصوت مبحوح:

«اني اشكركم جميعاً على مديحكم هذا. لكن هل العطر الجديد لا يصلح أيضاً لبقية النساء. لسولانج مثلاً؟»

واجهها المدعوون باحتجاجات جماعية مما جعل فلورا تتراجع عن موقفها. لا شك أنها أساءت فهم نيات ألآن. وتطوّع دي أسارت لأن يقدّم لها البرهان وراح يشرح لفلورا التي كانت تسمعه وهي في اضطراب متصاعد:

«أنت على حق يا كونتيسة. إن بعض النساء اللواتي يتمتعن بجمالك وشخصيتك، يمكنهن استعمال هذا العطر؟ لكن سولانج. أبداً. ان نوع جمالها يتطلّب عطراً شرقياً، مثلاً مزيج من الياسمين والبتولي التي تستعمله الليلة».

لم تتجرّأ فلورا على التطلّع بألآن. انها مقتنعة تماماً أن ملامحه تعبّر عن شعور سيء. لا شك أنها جرحت شعوره برفضها العطر! حتى

ولو أنّ ذلك يعني بالنسبة إليه دفعة من الدين الذي يعتبره واجباً عليه تجاهها، فهو يستحق أن يرى استقبالاً أكثر لياقة لكرمه هذا. وهي أعطت عطره الى امرأة أخرى! شعرت بالندم وراحت تبحث عن طريقة لتكفّر عن خطأها. وبلحظة البرق، استعادت الى ذاكرتها غرفة سولانج. لا شك أن العطر لا زال مكانه! وللحال التفتت نحو سولانج، التي كانت تهزّ كتفيها في استخفاف وتحوّل نظرها عن هؤلاء الرجال الذين لا يقدّمون لها الاهتمام المطلوب.

اعتذرت فلورا وابتعدت عن هذه المجموعة الصغيرة ولم ينتبه أحد لغيابها، بسبب انصرافهم الى تبادل الاحاديث. توجّهت نحو الباب وهي تبتسم وتهزّ رأسها لمن يحييها، لكنها لم تدع أحداً يؤخّرها أو يلهيها. كانت يدها على مسكة الباب عندما سمعت صوت لويس يقول وهو يضحك:

«الى أين ذاهبة في هذه العجلة؟»

تلعثمت واحمرّت وجنتاها:

«نسيت شيئاً في غرفتي... منديلي. وكنت ذاهبة لأحضاره».

قال من دون ان يبعد عينيه عنها:

«سأرسل إحدى الخادمات لاحضاره».

أجابت في توتر:

«لا تتصرف كالأحمق. أنت تعرف جيداً، يا لويس، أني لم أتعوّد اللجوء الى الخدم، لأقلّ شيء. لا مجال لأن أكلّف أحداً بشيء يمكن أن أقوم به أنا».

قطّب جبينه وانحنى لينظر اليها وجهاً لوجه. وقال ملاحظاً:

«لست أنت نفسك، هذا المساء. لاحظت ذلك خلال العشاء من دون أن

أعرف السبب. في البداية اعتقدت أن السبب هو فستانك، لكن، على ما يبدو، أن سبب تغيّرك ليس مادياً. لاحظت ارتجاف شفتيك. يداك كانتا ترتجفان كلّما رفعت كأسك، ومرّة أو أكثر، عندما كلّمتك، كنت تنتفضين كأني اقتلعتك من حلم. ماذا يجري، يا فلورا؟ ما هذا التوتر الذي يجعلك تنظرين الى العالم بعينين مليئتين حناناً وأسراراً مؤلمة؟»

راحت تتساءل ما إذا كان رأي الناس الموجودين من رأي لويس، لكنها اطمأنت لأنها تعرف أن لويس بشكل خاص رجل ثاقب، مثل ألآن وحتى أكثر، لأنه يرى. قامت بجهد لضبط هلعها وأطلقت ضحكة خفيفة وقالة:

«انك تتمتّع بمخيلة واسعة، يا لويس! لماذا لا تهتم أكثر بالمدعوات الشابات وتمارس خيالك عليهن. إنـي متـأكدة من أنهـن سيسعـدن بالتحدّث معك».

ومن غير أن تنتظر جواباً، كانت قد فتحت الباب وتسلّقت السلم بسرعة وتوجّهت نحو غرفة سولانج.

الغرفة لا زالت كما هي. وعلى رؤوس أصابعها مشت فلورا نحو منضدة الزينة وأقفلت يدها على زجاجة العطر، حين سمعت صوتاً يرتفع في الغرفة الصامتة:

«هل يمكنك أن تشرحي لي ماذا تفعلين هنا؟»

التفتت فلورا الى الوراء لتصبح وجهاً لوجه. مع سولانج، التي كانت تحدّق فيها في غيظ بانتظار جواب فلورا التي قالت:

«أرجو ان تعذريني، لكن، نسيت شيئاً يخصني وجئت لآخذه».

«شيء يخصك؟ من غرفتي؟»

اقتربت سولانج من منضدة الزينة وشحب وجهها وهي تنظر الى

زجاجة العطر. فسألتها بلهجة حاسمة:
«من جاء بهذه الزجاجة الى هنا؟»
فهمت فلورا أنه لا جدوى من المواربة فاعترفت تقول:
«جئت بها قبل العشاء. لقد اخطأت عندما اعتقدت أن ألآن صمّم هذا العطر لك. كنت أعرف أن عليّ أن أضع شيئاً منه الليلة، بسبب اصدقائه، لكنني كنت مصرّة أن تحصلي على الباقي».
تنفّست عميقاً وأغمضت عينيها لفترة ثم اضافت:
«لكن ما سمعته، أفهمني أني ارتكبت غلطة كبيرة. إن العطر صنع من أجلي، ولذا جئت استعيده».
زفرت سولانج بقوّة، وظهر الغضب على وجهها الجميل وقالت:
«من الصعب أن أسامح ألآن . لقد جعلني أظن أن هذا العطر خاص بي، وانتظر مناسبة كهذه ليقوم بحيلته الجهنمية!»
سألتها فلورا وهي تتراجع أمام لهجة صوتها العدائية:
«تريدين أن تقولي أن ألآن تصرّف عمداً، من أجل أن يجرح شعورك؟»
«هل هناك شيء غير ذلك. فهمت أن لديه شيئاً سرياً عندما أراد أن يتخلّ عن خدماتي والاستعانة بآخرين. لكنني لم أكن أصدّق أنه يريد خداعي هكذا! خلال الأسابيع الماضية، كدت أموت من الضجر في المعمل، وكيف كان جزائي؟ إهانة من كونت لا يرحم، ولا تستكين إهانته إلاّ بعد أن يفرغ كلّ ما في جعبته من شتائم».
استشفت فلورا بريق أمل، فسألت في صوت متردّد:
«هل تريدين أن تقولي انك، خلال كل هذه الأسابيع التي امضيتها في المعمل لم تكوني معه إلاّ نادراً».

ارتسمت على شفتي سولانج علامات الاشمئزاز وقالت:
«بالطبع، يا عزيزتي. إنها جزء من العقاب. أراد الانتقام من أخطاء خيالية! لكن لا تظني أن كل شيء انتهى بيننا. لا تتوهمي. انظري الى الحقيقة بلا خوف! لماذا يعتبر هذا الانتقام ضروريًا؟ رجل لا يشعر تجاه المرأة إلاّ باللامبالاة، هل يقوم بكل هذا المجهود ليعذّبها؟»

ابتسمت سولانج وتأكدت من أنها توصّلت الى تحقيق هدفها وأضافت:
« ألآن وأنا، متفاهمان كما يجب. إن علاقتنا من نوع الحقد العاطفي. هذا شيء يختلف تماماً عن الانفعال التافه الذي تسمّونه أنتم الانكليز، الحب. وأذكرك أنه سيعود اليّ عندما أريد ذلك. ومهما فعلت الكونتيسة الأم لتذكّره بواجباته تجاهك، فان العلاقة التي تربطنا هي أقوى بكثير من روابط الزواج. وهو يعرف ذلك والكونتيسة أيضاً. والآن جاء دورك لتعرفي».

هزّت فلورا رأسها. الاقتناع في كلمات سولانج بهرها، وخدّرها العذاب الى درجة لم تعد تطيق أن تستمر في سماع كلماتها. كيف يمكنها دحض هذه التصريحات وهي تعرف أنها حقيقية؟ إن طبيعة ألآن المعقدة تجعله يشعر باللذة. وهو يعذّب حتى أقرب المقربين اليه. تجربتها في انكلترا تؤكد ذلك. لأسابيع كانت هي وحدها تتحمّل نتائج مزاجه المتقلّب. ألم تدرك منذ البداية أن هناك علاقة حميمة بين سولانج وألآن أشدّ عمقاً مما كان يبدو للوهلة الأولى؟»

انتصبت فلورا واستعدّت للخروج. كانت سولانج تراقبها وابتسامة رشيقة ترتسم على شفتيها. ولمّا وصلت فلورا الى الباب سألتها سولانج في سخرية:

«وعطرك؟ أليس هذا ما جئت من أجله؟»

واستعانت فلورا بما تبقّى لها من كرامة لتردّ عليها في هدوء: «أشكرك. لكنني أحب أن اقدّمه إليك. فلا أنوي استعماله أبداً».

وبعد انصراف فلورا، اختفت الابتسامة من وجه سولانج. المدعوون بدأوا بالانصراف. فقرّرت سولانج ألاّ تنزل من جديد. كان نظرها على الزجاجة الصغيرة. أخذتها بيدها وتأمّلتها مطوّلاً. ثم دخلت الحمام.

فلورا، هي أيضاً، شاهدت انصراف المدعوين، بدون أن تشترك في مراسيم الوداع. وعرفت أنها ستجد أعذاراً تقدّمها لتغيّبها، فاتجهت تواً الى غرفتها وأقفلت الباب شاعرة بارتياح وانفراج. لم تعد في حاجة إلى التظاهر بأن الأمور جيدة بينها وبين ألآن. فالجهد اللازم لتمثيل دور الزوجة والزوج المحبين كان صعباً ومرهقاً أكثر مما كانت تتصوّر.

راحت تستعد للنوم. لكن وقتاً طويلاً مرّ وهي في انتظار أن يتغلّب عليها النعاس وتنام. لكن من دون جدوى.

حاولت ألاّ تفكّر بالمقابلة التي جرت بينها وبين سولانج. عادت كلمات سولانج تقلقها. إن طبيعتها العادلة تتمرّد أمام فكرة تصديق سولانج كليًا، من دون أن تطلب من ألآن تأكيد هذه التصريحات. إنه انسان صادق وشريف ولا يمكنه أن يقيم علاقة مع سولانج وهو ما زال زوجها. صحيح أنه قبل الزواج أفهمها بوضوح أنه لا يطلب منها الحب وليس عنده ما يعطيه. غير أنها كانت مقتنعة بأنه يحترمها. وهو مصمّم على ألاّ يجعلها تندم على قبولها أن تصبح زوجته. كانت تتعلّق بيأس بهذه القناعات، حتى تجد الشجاعة. هل تضع ألآن أمام الأمر الواقع: عليه أن يؤكّد كلمات سولانج أو ينفيها.

سمعته يمر أمام باب غرفتها متوجهاً نحو غرفته. كانت تفضّل أن تذهب إليه في الحال، لكن الوقت كان متأخراً والأسئلة التي تريد طرحها عليه يتقبلها أكثر في صباح الغد، حيث يمكنها، كما تأمل، ان تكون قادرة على ضبط نفسها.

وفي هذه اللحظة بالذات سمعت طرقة خفيفة على الباب الذي يصل غرفتها بغرفة الحمام المشتركة بينها وبين ألآن. انتفضت، لكنها ظلّت جامدة، عيناها على مصراع الباب. لم تسمع شيئاً فاسترخت: لا شك أن الطرقة ليست سوى من صنع مخيلتها المشوّشة. لكنها كانت قلقة في الوقت نفسه. نهضت من فراشها واقتربت من الباب. وبعد تردّد، فتحت الباب ودخلت.

في الجهْة الثانية من غرفة الحمام، شعاع نور خفيف يبدو من فتحة باب غرفة ألآن. ومن فتحة الباب الضيّقة، اكتشفت ما يدور داخل الغرفة: سولانج، الرائعة في مئزرها الأبيض، تقترب من ألآن وتبقى لحظة بقربه من دون كلمة ثم تمد ذراعيها حول عنقه في حركة عفوية. في البداية بدا ألآن وكأنه فوجيء، كأنه لم ينتظر حدوث هذه الزيارة. لكن وجهه تغيرّ فجأة تحت تأثير الفرح الكبير، وفهمت فلورا أنها امام عاشق ولهان.

وعندما وضع ألآن ذراعيه حول سولانج، لم تعد فلورا قادرة على تحمّل أكثر من ذلك، فتراجعت الى الوراء، لكنها سمعت صوت ألآن يهمس في انفعال قوي:

«آه يا حبيبتي، لو تعرفين كم كنت مشتاقاً أن آخذك بين ذراعي من جديد!»

دخلت فلورا الى غرفتها في خطى مترنحة وألقت بنفسها على السرير. عيناها الحزينتان بقيتا تراقبان السقف فوق رأسها، كأنها تبحث عن حلّ لمشكلة، أصبحت فجأة متعذرة الحلّ.

١٠ ـ سلسلة مفاجآت

لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة صباحاً عندما غادرت فلورا القصر. نزلت الى الطابق الأرضي من دون احداث أي حركة، ويدها متعلقة بمسكة حقيبتها التي تحتوي فقط على الأغراض التي جلبتها معها من انكلترا. وبرغم الوقت المبكر، كان القصر حافلاً بضجة غير منتظرة.

انفتحت الأبواب الضخمة من دون صعوبة بين أصابعها. وما أن أصبحت في الخارج حتى وضعت قدميها على الحشيش الأخضر وبدأت تركض على طول المسالك. خفّفت من سرعتها فقط عندما رأت أمامها الشباك الحديدية العالية: فعرفت حينئذ أنه لم يعد ثمة مجال لأن يراها أحد من سكان القصر.

كان الطريق خالياً. ولم يكن لديها فكرة معيّنة حول الاتجاه الذي تنوي اتخاذه. كل ما تعرفه أن عليها الوصول الى مطار نيس حيث تستقل الطائرة التي تأخذها الى انكلترا... الى بلدها. الى عائلتها.

اختارت أن تدير ظهرها لمدينة غراس، لأن المدينة واقعة في داخل الأراضي. والقصر ينتصب بينها وبين الساحل. وهكذا تكون قد أخذت الاتجاه الصحيح.

وبعد ان مشت في الطريق المحاطة بالاشجار، مدة طويلة قاطعة مسافة واسعة، من دون أن ترى أية اشارة الى أي طريق، ولا أي انسان، قرّرت أن تخفّف من سرعتها. لم تفكّر أن تأخذ معها شيئاً لتأكله. والآن بعد أن تنشقت الهواء العذب، وسارت طويلاً، شعرت بجوع شديد.

وعندما جلست لترتاح سمعت صوت محرك ضخم، فعمدت الى الاختباء، لكنها سرعان ما أدركت أن لا أحد في القصر يستعمل سيارة بطيئة للبحث عنها وانتظرت حتى ظهرت العربة، التي كانت جرارة عربة تحمل سلاّت من الزهر المقطّع. وسألت فلورا:

«هل أنت ذاهب في طريق المطار».

وهزّ السائق رأسه وقال:

«نعم، يا آنسة!»

كانت ترغب أن تقبّل وجه السائق الشاب عندما ساعدها على الصعود والجلوس بقربه. إن الأحاديث العديدة التي تبادلتها مع القطافين جعلتها تتأقلم مع لهجة المنطقة المحكية. وفهمت كلام الشاب بسهولة عندما أخبرها أنه متوجه الى سوق الزهور في نيس. كان يبدو سعيداً برفقتها، برغم صوت المحرّك الذي جعل أي حديث صعب سماعه. وعندما أخرج من جيبه ربطة تحمل خبزاً وجبنة وقدّم لها بعضها، قبلتها بفرح لا يصدّق.

راحت تأكل بشهية الخبز الطازج الذي ما زال ساخناً والجبنة،

وتتأمل الشاطىء يقترب. وللمرّة الأولى منذ أن اكتشفت خيانة ألآن، شعرت بسلام داخلي. قريباً ستصل الى بلدها، الى أهلها الذين يحبونها وإلى اصدقائها الذين يشتاقون إليها. وتساءلت فلورا ما إذا كانت الكونتيسة الأم ستندم على رحيلها. وفي الحماس الذي دفعها الى الهرب لم يتسن لها كتابة كلمة واحدة. لكنها وعدت نفسها أنها حين تصل الى بلدها ستبعث برسالة للمرأة المسنّة وتشرح لها سبب تصرفها هذا مع مراعاة شعورها.

دخلت الجرارة الى نيس. الشوارع العريضة والجادات كلّها فارغة، فقط بائع أو أكثر بدأوا بفرش الطاولات داخل ساحة السوق استعداداً لعرض الزهور. نزلت فلورا من العربة. وشكرت السائق وتوجّهت الى محطة التاكسي لتستقلّ واحداً يقلّها الى المطار. بدأت تشعر أن الوقت يمر بسرعة وهي ترجو أن تكون في طريقها الى انكلترا قبل أن يكتشفوا غيابها.

ولمحت تاكسي يسير ببطء لالتقاط الزبائن، فأشارت اليه. فتوقّف وصعدت ثم قالت:

«الى المطار، بسرعة من فضلك!»

كانت قد قطعت نصف الطريق عندما لاحظت أن يديها ترتجفان، وقلبها يطرق بقساوة على أضلاعها.

وما أن وصلت السيارة الى المطار حتى دفعت للسائق أجرته وتوجّهت مسرعة الى داخل المبنى. وشدّت بيدها على الحقيبة. اقتربت من احد المكاتب وقالت للموظف المسؤول:

«تذكرة سفرة واحدة على متن الرحلة الأولى الذاهبة إلى انكلترا، من فضلك».

ابتسم لها الموظف ابتسامة مطمئنة وظنّ أنّ قلق فلورا المرسوم على وجهها عائد لخوفها من ركوب الطائرة، فقال:

«لا تقلقي، يا آنسة، ستكونين في أمان! انتظري سماع رقم الرحلة واتجهي بعدها الى الباب المطلوب، وهناك تساعدك المضيفة على الدخول الى الطائرة».

ولمّا رآها تتناول بطاقتها بسرعة كأنها تريد الهرب، أضاف:

«لديك الوقت الكافي. لن تقلع الطائرة إلاّ بعد ساعتين!»

ساعتان! لم تفكر أبداً أنّ عليها الانتظار. وفي حمى تفكيرها تصوّرت أنها ما ان تصل الى المطار حتى تستقلّ الطائرة التي ستأخذها الى انكلترا، من غير أن يتسنى لها الوقت لأعادة التفكير في الموضوع. ساعتان: إنه وقت كاف أمام زوجها لأبلاغ البوليس ونصف ابناء المنطقة!

وجدت في غرفة الانتظار مقعداً وراء إناء زرع فيه شجرة نخل كبيرة. جلست مختبئة وراء الشجرة تنظر في مواجهة المدرج. قرّرت ألاّ تترك أفكارها تتركّز على ألآن وما حدث أمس قبل رحيلها. في البداية كان من السهل أن تتلهّى برؤية ذهاب الطائرات وايابها. لكن مع وصول الركاب، بدأت تتهيأ لرؤية شبح طويل نحيف بين الناس، مما جعل قلبها ينبض بسرعة.

نظرت الى ساعة يدها عشرات المرات كأنها تريد أن تقدّم عقاربها. أخيراً سمعت إعلاناً عن رقم رحلتها. فاندفعت نحو الباب المذكور. كانت تنظر أمامها وافكارها كلّها مركّزة على الهدف الأول الذي تريد أن تحقّقه، الى درجة أنها لم تسمع أحداً يناديها باسمها. وما أن وصلت الى أول الصف حتى شعرت بيد تلتف على ذراعها وصوتاً يقول

باستغراب:
« فلورا! شكراً يا الله، لقد وجدتك!»
كان وجهها بلون الرماد، فاستدارت:
« لويس!»
كانت شفتاها تتوسلان اليه ألاّ يحتجزها، بينا بقية الركاب يتوجّهون نحو الطائرة.
« فلورا، انتظري! يجب أن اكلّمك!»
أجابته:
«ليس الآن، يا لويس. وإلاّ فاتتني الطائرة. سأكتب لك حين وصولي. أعدك بذلك!»
كانت قد وصلت الى الباب عندما أخذها بذراعها وأدارها صوبه. وللمرّة الأولى لاحظت القلق المرسوم على ملامح وجهه. كان شعره مشعثاً وهو يتنفس بصعوبة كأنه كان يركض بلا توقف.
« فلورا. الأمر يتعلّق بالكونتيسة. أصابتها نوبة، والطبيب معها، لكنها تطلب رؤيتك...»
«أمي؟ آه، لا...!»
وضاع استغرابها المفاجىء مع صوت المحرّكات. لم تعد تفكّر بالطائرة التي تنتظرها.
«خذني إليها، يا لويس! بسرعة!»
وعندما أصبحت في السيارة التي تنقلها الى القصر، راح لويس يشرح لها ما حدث.
«الخادمة التي صعدت الى غرفتك حاملة فنجان الشاي وجدت الكونتيسة ممدّدة على السجادة في غرفتك. لقد كانت قلقة عليك مساء

البارحة وعندما لم تنزلي من جديد، قال ألآن للمدعوين انك حلال النهار عانيت من ضربة شمس ولا شك أنك أردت الخلود الى النوم باكراً. وبدا على أمي أنها قبلت هذا العذر، لكنها استيقظت هذا الصباح باكراً جداً وأرادت أن تعرف كيف تشعرين. حاولت الوصول الى الجرس لترنه طلباً للمساعدة لكنّها سقطت قبل أن تتوصّل الى ذلك. ومن حسن الحظ لم يمض أكثر من ساعة على اكتشافها، وإلاّ لكانت النتائج أشدّ خطورة. ان النوبات القلبية تقلق وخاصة مع امرأة في سن الكونتيسة».

همست فلورا:

«كيف هي الآن؟»

«جزء كامل من جسدها مشلول، لكن الطبيب يؤكد بشدّة أن العناية الضرورية من شأنها أن تؤدي الى تحسّن صحتها. وعندما أرادت أن تتكلّم، ألآن وحده فهم ما قالته. كانت تتلفّظ بأسمك وتطلبك. لم نصل الى تهدئتها إلاّ بعد أن وعدتها بأني سأذهب للبحث عنك. وشكراً للّه لأنني بدأت في المطار. دقائق قليلة وكنت الآن في طريقك الى انكلترا!»

كان يركّز تفكيره على قيادة السيارة التي كانت تنطلق بسرعة كبيرة. لكنّ ضيق فلورا القوي ورعبها المخيف جعلاه يصرخ قائلاً:

« فلورا! هل تشعرين الآن بالمسؤولية لما حدث لأمي...لا. لا يمكنك أن تأبهي لما يمكن أن يحصل للآخرين و...»

لكن عندما استرخت فلورا على المقعد وراحت تشهق بالبكاء، أخذ يلوم نفسه وتوقّف على طرف الطريق. وجذب فلورا بين ذراعيه

وراح يحاول تهدئتها. لكنّ الندم الذي كانت تشعر به كان شديد العمق فلم تستطع أن تتوقّف عن النحيب وسماع كلمات لويس الذي كان يقول وهو يهزها:

«ليس ما حدث بسببك، هل تسمعين؟ إن الكونتيسة مسنّة... ربما يكون رحيلك هو الذي سبّب النوبة، لكن كان من المنتظر أن تحدث في أي وقت. يجب أن تصدّقيني، يا فلورا!»

لكنّها ظلّت جامدة. فقـرّر لـويس أن ينشلهـا من هذا التوتـر وبطلب مساعدتها:

«ليس في نيتي أن أطرح عليك الاسئلة، يا فلورا. لكن يبدو واضحاً أنّ الوضعَ بينك وبين ألآن أصبح متأزماً وخطراً أكثر مما كنت أتصوّر. وسأطلب منك خدمة. هل توافقين على البقاء في القصر؟ أمي بحاجة الى امرأة تحبها وتفهمها. الخدم كلهم يحبونها، لكن ما من أحد يمكنه أن يحلّ مكان عائلتها، و...، يا فلورا...»

رفعت فلورا رأسها وبدأ خداها بالاحمرار، وأضاف لويس:

«أعتقد ان بامكاني أن اطلب منك هذه الخدمة، من أجل الكونتيسة ومن أجل ألآن. ولا يمكنك، بالطبع، بعد فرارك ان تعتقدي بأن عنفوان ألآن وكبرياءه وغطرسته ستسمح له بأن يطلب منك ذلك».

وفجأة عاد الشحوب الى وجه فلورا:

«لا شك أنه يكرهني لما سبّبت من ألم لوالدتي. ولن يحتاج الى مساعدتي في وجود سولانج؟»

«لقد غادرت صباح اليوم آخذة كل امتعتها».

«هل عرف ألآن بذلك؟»

«هو الذي أخبرني بذلك. يبدو أنه طلب منها الرحيل البارحة. وفي

الصباح برغم ما حدث للكونتيسة لم تفكّر سولانج لحظة بتغيير مخططاتها... لقد ذهبت الى غير رجعة!»

وعمّ الصمت. كان لويس يأمل في أعماق قلبه أن تغيّر فلورا موقفها وتبقى، وهي تفكّر بأن المرأة التي تحبها كادت تموت بسببها.

عاد لويس ليقول:

«ماذا قرّرت. لا مجال أمامي للتأثير عليك، لكن إذا كنت تعتقدين بعدم قدرتك على البقاء، فأفضل لأمي أن تذهبي منذ الآن، من دون أن تراك. وصدّقيني إذا كان هذا قرارك، سأفهمه وأعيدك فوراً الى المطار».

كان يتكلم كأنّ أمام فلورا حرية الاختيار. وتعرف جيداً أنها غير قادرة على ترك الكونتيسة وهي في حاجة إليها. لكن يجب في الوقت نفسه أن تجابه ألآن... قامت بجهد كبير لتهمس:

«هيّا بنا نسرع، يا لويس. يجب ان أبقى بكل تأكيد».

ولّما وصلا الى القصر، صعدت فلورا على الفور الى غرفة الكونتيسة. كان الطبيب قد غادر القصر تاركاً المرأة العجوز بين يدي ممرضة القصر. وتقدّمت فلورا منها على مهل بدون إحداث أي صوت. كانت الكونتيسة نائمة.

رفعت الممرضة يدها طالبة من فلورا ألاّ تتكلم، لكن فرقعة مريولها المنشى أحدث دوياً مما جعل المرأة تتحرك في سريرها وهي تتأوه، ثم فتحت عينيها في الوقت الذي أخفت فلورا وجهها القلق. فبرقت عينا الكونتيسة وأرادت أن تتكلّم، لكن الجهد الذي كانت تبذله كان مؤلماً، وبعد زفرة، غابت عن وعيها من جديد، وعلى زاوية فمها، ابتسامة صغيرة، علامة الرضى والامتنان.

أشارت الممرضة الى فلورا بالخروج ثم لحقت بها:

«لقد عرفتك، يا سيدة، وهي هادئة البال الآن. لن تستيقظ إلاَ بعد أن ينتهي تأثير الدواء المسكّن. ويجب عليك أنت أن ترتاحي لساعة أو ساعتين. تبدين في حاجة للراحة».

شكرتها فلورا وأكدت لها أنها ستنفّذ نصيحتها. لكن ما أن دخلت الى غرفتها، حتى تأكدَت من عدم قدرتها على النوم. غسلت وجهها جيداً لتبعد عن عينيها آثار الدموع ووضعت فستاناً مريحاً ثم نزلت تبحث عن ألآن.

وجدته وحيداً في غرفة المكتبة، يجلس في أريكة واسعة من الجلد قرب النافذة، وأشعة الشمس تقع على رأسه الأسمر مثل شفرة الرمح الفضية. دخلت فلورا من الباب المفتوح بهدوء. وقعت عيناها على يدي ألآن المتقلصتين، فانقبض قلبها.

« ألآن!»

لم يكن صوتها سوى همس خائف، لكنها لاحظت أنه سمعها، فتقلّص جسده وجمدت يداه. اقتربت منه وهي ترتجف وقالت:

« ألآن، إني آسفة».

فنهض وقال:

«هل شاهدت الوالدة؟»

أجابت في صوت خانق:

«نعم. لقد عرفتني... وابتسمت لي...»

لم تتمكّن من مواصلة الكلام. واسترخى فم ألآن. قام بحركة متردّدة وكادت تصطدم قدمه بكرسي ويفقد توازنه.

اقتربت منه لكنه كان قد انتصب يحاول العثور على ظهر أريكة. شعرت فلورا باضطراب، لأنها تراه للمرّة الأولى مسلوخاً ومجرّداً من

ثقته التي كانت ترمز لها استقلاليته الكاملة تجاه محيطه وبيئته.

لم يتسن لها الوقت أن تسأله عن هذا التغيرّ الذي أصابه. وفي نبرة مترفعة، سألها:

«هل تتفضلين بالجلوس، يا فلورا، أرجوك؟ أعتقد أن الوقت حان لنتحدّث عن مستقبلنا».

شعرت بتأثير عميق وهي تراه يمرّر أصابعه في شعره، في حركة متعبة، عديم الشجاعة، يائساً، كأنه يعترف أنّ كل معاركه انتهت الى الأبد. وعرفت حينئذ أنه يفهم جيداً أنها نادمة على ما فعلته. كلمات عديدة تغص في قلبها لكن شفتيها المرتجفتين لم تنطقا إلاّ بالكلمات ذاتها:

«إني آسفة، يا ألآن، آسفة جداً...»

اصفرّ وجهه وحتى فمه وقال:

«اني آسف، أنا كذلك، يا فلورا. آسف لأني أقنعتك بالقبول بزواج لم يجلب لك إلاّ الندم. لقد ارتكبت غلطة كبيرة. ولو ان الزمن يرجع الى الوراء لأعفيتك من عذابات أخرى...»

شعرت فلورا بألم شديد يخترق كيانها. لا داعي لمتابعة أقواله، والتعبير بدقة عن الرغبة التي يشعر بها تجاه سولانج: فلم تنس فلورا مدى حبه لتلك المرأة، اذ كانت شاهدة حيّة على ذلك. فيجب عليها أن تمنعه من ان يقول أكثر.

«لا داعي للقلق يا ألآن. سأبقى حتى تستعيد والدتك صحتّها. لكن بعد ذلك...»

«شكراً. هذه شهامة منك، ما دامت الظروف تريد ذلك. إني أعرف كم

يعني لها وجودك هنا. لن أحاول اقناعك في البقاء. لكن...»

بدا وكأنه يختار كل كلمة يلفظها ثم تابع بصوت مبْحوح وبارد:

«هل تعتقدين أن امكانية اقامتك هنا من جديد تبدو أكثر سهولة عليك اذا قلت لك أن في نيّتي التغيّب بعض الوقت».

قالت في كبرياء:

«ربما».

نهض وأدار ظهره وابتعد ثم قال في عنف مفاجىء:

«هل وصلت لامبالاتك الى حدّ ألاّ تسألي الى أين أذهب؟»

تكفي كلمة واحدة للرد عليه. ومن دون تردّد، أجابت:

«لا!»

وهرعت خارجة من الغرفة. لماذا تسأله الى أين سيذهب. إن سولانج في باريس...

١١ ـ كأنه اللقاء الأول

كانت فلورا تجرّ الكرسي النقال التابع للكونتيسة على طول الممر الذي يتعرّج في حديقة القصر. الطقس خريفي، في أحد أيام شهر اكتوبر ـ تشرين الأول. وكان قد مضى شهران على حادث الكونتيسة وعلى رحيل ألآن. الشمس تسطع على الأزهار. العطر وحده تغيرّ. فقد حلّ محل الورد والميموزا أريج أكثر عنفاً هو أريج الجيرانيوم والنعناع البري.

أوقفت فلورا الكرسي في ظل أشجار السرو العالية، ثم جلست في مقعد قبالة الكونتيسة.

«هل أنت مرتاحة يا أمي؟ هل تريدين وسادة تحت رأسك؟»

قالت المرأة العجوز وهي تبتسم بلطف:

«لا تقلقي عليّ بعد الآن. الطبيب بنفسه أكد لك أني شفيت تماماً، وانت تدللينني كأني ما زلت ضعيفة الى درجة الذوبان تحت أشعة الشمس».

استرخت فلورا مرتاحة لكلام الكونتيسة. صحيح أنّ صحتها

ضعيفة وتتعب بسرعة، لكن تحسّنها كان مذهلاً. لأسابيع طويلة ظلّت فلورا تسهر عليها، لا تتركها لا في الليل ولا في النهار، الى أن نصحها الأطباء بالاخلاد الى الراحة. وحتى في راحتها كانت تقصد المريضة باستمرار، الى أن تأكّدت بنفسها من التحسّن الملموس في صحتها، وخفّ لديها الشعور بالذنب.

غياب ألآن كان وراءه بالنسبة إليها أكثر من علامة استفهام. ولا مرّة، سألت الكونتيسة فلورا عن السبب الذي من اجله غادرت القصر. كأنها تريد أن تزيل هذا الحادث من ذاكرتها، والتصرّف كأنه لم يحدث أبداً. وفلورا هي أيضاً كانت تفضّل هذا الحل، فهي تعرف ان المرأة العجوز ليست في وضع صحّي يمكنها معه أن تتحمّل هذا الموضوع المؤلم. ولا بدّ أن يأتي يوم تستطيعان أن تتحدّثا فيه عن الموضوع. عاجلاً أم آجلا، لأن ألآن سيعترف بحبه لسولانج.

سألتها المرأة العجوز فجأة وهي ترمقها بنظرة ثاقبة:

«هل عرفت أن ألآن تحدّث معي مساء أمس بالهاتف؟»

انتفضت فلورا ووضعت يدها على وجهها لتخفي احمراره المفاجىء. كانت تعرف أن ألآن يتصل بوالدته هاتفياً باستمرار. لكن، ولا مرّة طلب التحدّث الى زوجته. وهي أبت عليها كرامتها أن تسأل عن أخباره.

أجابت في صوت خاطف:

«كلا. لم أكن أعرف. كيف حاله؟»

«كان يبدو في مزاج رائع. كان صوته واضحاً وواثقاً ومليئاً بالنشاط، حتى أنه بدا لي أنه عاد كما كان قبل أن يفقد بصره».

مسحت دمعة قبل أن تكمل حديثها في لهجة أكثر عنفاً:

«رفض أن يحدّثني عن أحواله. حاولت معرفة موعد عودته الى القصر، لكنه اكتفى بالقول: «أفضّل أن افاجئك وعندما أعود سأطلعك على خبر سار...»

أضافت وهي مقطّبة الحاجبين:

«إنه يزعجني بأسراره. لماذا يرفض حتى أن يقول لي أين هو؟ ما هو السبب الذي من أجله يريد ألاّ نعرف أي شيء عنه؟»

لم ترّد فلورا. كانت تتعذّب لأنها تعرف أنه في باريس مع سولانج. ومرّات عديدة، خلال الأسابيع التي مضت، كانت تستيقظ في الليل وتتصوّره واضعاً ذراعيه حولها، هامساً بصوته الحزين، فتشعر بالسعادة الكبرى لبرهة قصيرة. وتتساءل اذا كان هو أيضاً يتذكّر تلك الليلة عندما كانت رائحة الأزهار تدخل من النافذة المفتوحة، تضفي نعومتها على الوقت الثمين الذي أمضته. هل هذه الذكريات هي التي جعلته يطلق عطره الجديد باسم زهرة الحب؟

لكن كلمات الكونتيسة كانت بمثابة استهزاء بها، لأن أحلا تكن سوى وهم وخرافة. انه يبدو لها في مزاج مرتف والنشاط واذا كان سبب هذا التغيرّ في شخصيته عائد بالذات، فهي ولا شك تستحق كل تهنئة. حتى الكون التي لا تشعر تجاه سولانج بأي انفعال إيجابي، لن تجد زواجها من ألآن، وخاصة عندما يفهمها ابنها أنّ سعادته بوجود سولانج بقربه.

لم يعد باستطاعتها أن تتحمّل أكثر. فنهضت بحيوية وكبتت دموعها حتى لا تزعج المرأة العجوز وقالت:

«أنا متأكدة من أن ألآن لن يجعلك تنتظرين مجيئه مطولاً، يا أم

ويجب أن تكفي عن الاضطراب. وادركي كم سيكون حزيناً ان هو عاد ووجد أنك ما زلت مريضة وضعيفة».

ثم اضافت وهي تسوي الوسائد تحت رأس الكونتيسة:

«هيّا. أغمضي عينيك. إنها ساعة القيلولة».

بقيت حوال عشر دقائق قرب الكونتيسة، لكن ما ان تأكّدت أنها نائمة، حتى ابتعدت بهدوء نحو مكانها المفضّل حيث يمكنها أن ترى منظراً شديد الروعة يطل على حقول الزهر وعلى القرية المجاورة.

وهناك وجدها لويس. فاستقبلته وعلى وجهها ابتسامة صادقة:

«من غير العادة أن أراك في مثل هذه الساعة، يا لويس! وصباح اليوم، قالت لي أمي اننا نراك نادراً في هذه الأيام. كأنك أصبحت فجأة رجل أعمال».

جلس على العشب بقربها وقال في رصانة:

« فلورا، يجب أن أكلّمك».

فتحت فلورا عينيها وانتابها القلق. وألقت نظرة على الكونتيسة فأسرع يطمئنها:

«إنها في صحة جيدة. عندما مررت أمامها، كانت تنام نوماً عميقاً».

«لكن، ماذا عندك تقوله، يا لويس؟ لماذا هذه النظرة الجادة؟»

بدا وكأنه يجد الكلمات بصعوبة. فانتظرت فلورا حتى ينسّق أفكاره. لكنه تقلّص عندما قال فجأة:

«هل انتهى كل شيء بينك وبين ألآن؟»

احمرّ وجهها وهمست:

«ليس لك الحق في أن تطرح عليّ هذا السؤال».

أفقده جوابها ضبط النفس الذي حاول المحافظة عليه، فالتفت

نحوها في غضب:

«ما من أحد يعنيه الأمر أكثر مني! منذ أسابيع وأنا أراك تتمزقين، في انتظار كلمة أو حركة واحدة من الرجل الذي تخلىّ عنك، خاسراً بذلك حتى حقوقه كزوج! ويوماً بعد يوم تصبح عيناك أكثر حزناً، ووجهك الجميل يفقد عذوبته. لست سوى ظل صغير صامت، وقلب مثقل بالندم. انك منهارة الى حدّ لم تلاحظي الحب الذي أكنّه لك والذي لم أستطع إخفاءه. اني احبك، يا فلورا!»

أمسكها من كتفيها وقال في تصميم:

«ارحلي معي... الآن، وإني أعدك بأن اكرّس حياتي كلّها لأريحك من العذاب الذي سبّبه لك ألآن!»

وعندما جذبها نحوه، محاولاً معانقتها، استعادت فجأة رباطة جأشها وأبعدته عنها، فاضطر الى تركها. وقالت:

«كيف يمكنك أن تتصرّف معي هكذا! كيف يمكنك أن تخون ليس فقط صداقتي لك، بل أيضاً ثقة العائلة بك؟ ألم تفكّر بامي؟إني أعرف أنك غير متفق مع ألآن، لكنه لم يفعل شيئاً ضدك ليستحق خيانة كهذه! إني زوجته، يا لويس! ربما تكون قادراً على أن تنساه... وهو كذلك... أما أنا، فأبداً!»

انخطف صوتها في بكاء لم تتمالك في كبته. لفترة طويلة، عمّ الصمت الى أن قال لويس في لهجة مترددة:

«حاولت كثيراً مقاومة عاطفتي، يا فلورا. لست عديم الضمير الى درجة أن أقدم على خطف زوجة رجل أعمى. لقد أمضيت الأسابيع الماضية في عمل شاق محاولاً نسيان حبك. لكن ألآن لا يستحق كل هذا الاحترام. لقد تركك تعتنين بأمي وحدك ورحل من غير أن يفكّر

بك او بامي. فكيف تدافعين عنه؟»

سألته فلورا في بساطة:

«هل يجب أن أكرهه بحجة أنه غير قادر أن يبادلني الحب؟»

أجاب وأسنانه مشدودة:

«هذا ما تفعله أغلبية النساء اللواتي أعرفهن».

«اذاً، فلا أستغرب أن يكون ظنك قد خاب، يا لويس».

«يا إلهي!»

هزّ كتفيه في حركة تدل على انهزامه.

«كان عليّ أن أفهم أنك غير قادرة على حبي. وما زال لألآن حظ أكثر مما كنت اتصوّره».

خبّأ يديه في جيوبه ورفس حجراً وقال:

«لم يعد أمامي حلّ سوى مغادرة القصر...»

«لا، يا لويس، هذا مستحيل!... وأمي، كيف يمكنك أن تفكّر في التخليّ عنها، وهي في هذه الحالة الصحيّة المتدهورة؟ يجب أن تبقى من أجلها ومن أجل عطورات تريفيل. من سيتخذ القرارات اللازمة في غيابك وفي غياب ألآن؟»

«ألآن! ألآن! لا تفكرين إلاّ به!»

إن عذاب فلورا هو الذي يعنيه. وبسببها هي يترك لغضبه العنان. وفهمت أن عليها أن تخبره بدقة ما يجري بينها وبين ألآن. فكبتت انفعالاتها وقالت:

«أنا من سيغادر القصر قريباً. عندما يعود ألآن، ستعود سولانج معه... الى الأبد».

«هذا مستحيل! هل أنت متأكدة من ذلك؟»

«نعم. إني متأكدة من ذلك كل التأكيد».
شاهدت في عينيه بريق أمل واضطرّت أن تنزع منه كل وهم:
«لكن ذلك لا يغيرّ شيئاً في عواطفي تجاهك، يا لويس».
ابتلعت ريقها بصعوبة ثم عادت تقول في صوت هامس:
«لا يمكنني أن أحب شخصاً آخر غير ألآن، أبداً...»
وضعت يدها على الميدالية الزرقاء الصغيرة التي ترتديها باستمرار. وفهم أنها تفكّر بالكلام المنقوش الذي يعبّر عن وضعها، كأنها حفرت خصيصاً لها ولألآن: متحدان، لكنهما دائماً منفصلان لأن الزواج هو الذي يوحدهما لكن لا شيء يملأ الهوّة التي تفصلهما. الشجاعة التي تتحلّ بها فلورا أرهقت لويس وأهانته في الوقت نفسه. وشعر بالخجل. ولأول مرّة يرى نفسه كما يجب أن يبدو في عيني فلورا. واكتشفت فجأة أنه قادر على الاحساس بالخجل. وهذه التجربة بدت صعبة كي يتحمّلها. أخيراً قال:
«سأبقى، ولكن فقط لأنك تطلبين ذلك مني. واذا كنت تعتقدين أن وجودي هنا ضروري، فلا أستطيع أن أرحل».
استدار وابتعد. تردّد ثم استدار نحوها:
« فلورا؟»
«نعم، لويس؟»
كانت ترتجف وعلى وشك البكاء.
«اذا كنت قد جرحت شعورك، فأنا آسف جداً. هل تسامحينني؟»
وفهمت انها طريقته ليؤكد لها أن الموضوع قد أقفل ولن يعاد فتحه بعد الآن. ابتسمت وقالت:
«ان صداقتك ستظلّ دائماً عزيزة على قلبي، يا لويس. لا أريد أن

أخسرها. لا شيء يستحق طلب الغفران».

في المساء، عندما فتحت خزانة الثياب لاختيار ثوب لها، وقعت عيناها على فستان من الحرير الرمادي الغامق، ذي قبة بيضاء تتلاءم تماماً مع مزاجها.

كان القماش الحريري يتطاير حولها إزاء كل حركة تقوم بها، ويداعب كاحلي قدميها النحيفتين، من غير احداث صوت. ثم راحت تملس شعرها، لكنها لم تكن في حالة تسمح لها برفع شعرها على شكل كعكة، فتركته ينسدل على كتفيها.

أصوات غير عادية بدأت تصدر من الطابق الأرضي. الباب يطرق وأصوات تدوي في البهو. ثم خطوات تصعد السلم... خطوات سريعة، نشيطة، تعبّر عن نفاذ صبر شخص وصل لتوّه. ولّما توقّفت الخطوات في الممر، أمام باب فلورا، انقبضت أعصابها وجفّ حلقها.

انفتح الباب ومع نسمة الهواء التي دخلت ارتفع فستانها الخفيف حولها، الى درجة أنها بدت وكأنها خيالية، ساحرة. جمدت للحال وانتظرت ثم اطلقت زفرة طويلة عندما دخل ألآن بقامته الطويلة إلى الغرفة. بلهفة كانت تنظر اليه يقترب نحوها. نظارتان سوداوان تحميان عينيه، لكن من خلال الزجاجتين الرماديتين كانت عيناه تحدّقان بها في نظرة حادة. احمرّت بشدة خجلاً، ولّما توقّف بقربها، بدأت تسمع نبضات قلبها.

لم تستطع ان تتحمّل أكثر هذا الصمت الرهيب فقالت:

« ألآن، لقد عدت...»

«مساء الخير يا فلورا».

كان يكلّمها كأنهما يلتقيان للمرّة الأولى. شعرت فلورا أنه نافد

الصبر، غير قادر على تحمّل المقدمات. أن والدته على حق، فقد تغيرّ. وبرغم شحوب وجهه الذي يفسرّ إقامته في باريس، فأنه ينضح بالحيوية والنشاط.

«هل أنت سعيدة لرؤيتي؟»

كأنه عاد ليلعب لعبة الهر والفأر. لم تعد تتحمّل العذاب الذي يعاقبها به. كان مليئاً بالفرح من دون شك، لكن هل من الضروري أن يعرض سعادته أمامها؟

ربما كانت سولانج تنتظره في البهو، مستعدّة لمناقشة الطريقة الفضلى للتخلّص من زوجة غير مرغوب فيها. وأمام هذه الفكرة، رفعت فلورا وجهها في فخر واعتزاز. إنه يجهل أنها تعرف أين كان يمضي كل هذه الأسابيع الفائتة. وحان الوقت لأعلامه بالأمر.

سألته في صوت هادىء وبارد:

«كيف كانت رحلتك الى باريس؟»

كانت تنتظر أن تراه يعترف بذنبه، لكن ملامح وجهه عبّرت عن ارتباك. رفع حاجبيه وردّد:

«باريس؟»

«اني أعرف انك كنت في باريس مع سولانج! أرجوك، يا ألآن، لا تحاول انكار ذلك».

عضتّ على شفتيها لتمنعهما من الارتجاف. وأضافت:

«لقد قلت لي يوماً انك لن تنتظر مني سوى الحقيقة. ألا يحقّ لي أن اتوقّع الشيء نفسه منك؟»

ظل ألآن يحدّق فيها مستغرباً محاولاً أن يستوعب ما كانت تقوله. فتراجعت أمام عينيه اللتين تبدوان وكأنها تخترقان أعماقها. لكنه

مدّ يده واقفلها على معصم زوجته وقال في نعومة وهو يتهمها:
«لماذا العجلة في إبداء رأيك واظهار قناعتك يا فلورا. لم أذهب الى باريس. ولم أر سولانج ولم أتصل بها منذ اليوم الذي غادرت فيه القصر».

شعرت كأن قلبها سقط من صدرها. وقالت:
«أرجوك أن تسامحني. ربما، تسرّعت في إبداء رأيي، لكن هذا لا أهمية له، أليس كذلك؟ اني اعرف أنك واقع في غرام سولانج... لقد رأيتها في غرفتك... وسمعت ما كنت تقول لها...»

انخطف صوتها المرتجف في نحيب. فسكتت وأدارت وجهها. فانهى عنها ما كانت تريد أن تقوله:
«وفي اليوم التالي قرّرت الهرب».

فنظرت نحوه من جديد بعينيها الدامعتين، فترك معصمها وتوجّه صوب النافذة وجلس على فتحة النافذة العريضة، وأمرها:
«تعالي واجلسي قربي».

أرادت ان تقاوم، لكنه ردّد هذه المرّة في قوة:
«تعالي، يا فلورا. أريدك قربي».

أطاعت على مضض. فجلست على الطرف الآخر بعيدة عنه، لكن ألآن أخذها بذراعها وشدّها عنوة صوبه. فراحت ترتجف وسمعته يقول:
«انك مقتنعة بأنني أحب سولانج، مما يجعلني أقاسمك سراً لا يعرفه سوى سولانج وأنا».

كان يتكلّم بصوت خال من أي تعبير، لكن ملامحه كانت رصينة تدلّ على أهمية ما سوف يقول:

«بسبب غلطة سولانج أصبحت أعمى».

ارتعدت فلورا، وكبتت صرخة كانت على وشك الافلات، وراحت تسمعه يقول:

«كنا مخطوبين. الخطبة تمّت تلقائياً كما يحدث لشخصين يعرفان بعضهما منذ الطفولة.. في البداية، لم أهتم كثيراً بنزواتها وتقلّباتها. إنها فتاة وحيدة ومدلّلة. وكان والدها يلبي كل طلباتها. لكن عندما بدأت أهتم أكثر فأكثر بعلاقتنا، بدأت أكرّس وقتاً أكثر للعناية بها، وبدأنا نصطدم ونتشاجر، فاقتنعت حينئذ أن عليّ أن أفسخ الخطبة».

شدّ يده على معصم فلورا التي كانت تصغي اليه في انتباه حتى أنها لم تشعر بألم معصمها.

أضاف زامّاً شفتيه:

«وجاء اليوم الذي أعلنت فيه قراري بفسخ الخطبة. كنّا معاً في المختبر. أنهيت عملي وكنت أنظّف الآليات والمعدات الذي استخدمها في التجارب. ربما كانت غلطتي أنا أيضاً. فقد كنت مشغولاً بما سوف أعلنه، ولا شك أني سكبت بعض المساحيق في عيار أكثر مما يلزم.لكن هذا ليس أساس ما حصل. غضبت سولانج مما قلته، فرمتني بشيء لم أعد أتذكره، فوقع في الاناء الذي كنت أمسكه وتطاير السائل الى عيني».

سكت فجأة كأنه يعايش رعب تلك اللحظة من جديد. كانت فلورا تشعر بانتفاض جسمه كله. كان الخجل والرأفة يشدان على حنجرتها مما جعلها تقول:

«آه، ألآن، كيف استطعت أن... كيف يمكن لأنسان...»

نفض جسده ليتخلّص من هذه الذكريات، ووضع ذراعيه حول

خصر زوجته ليجذبها نحو قلبه:
«لا تحكمي عليها، يا فلورا، إني مدين لها بعرفان الجميل».
«عرفان الجميل؟ كيف يمكنك أن تتكلم عن عرفان الجميل فيما يتعلق بسولانج؟»
بقيت جامدة بين ذراعيه ووجهها مخبأ في صدره الذي كان يعلو ويهبط في سرعة زائدة. كان يشلّها نوع من الخجل. لم تجرؤعلى رفع عينيها. لكنه أمسك بذقنها وأجبرها على التطلع اليه وجهاً لوجه. ثم أضاف يقول:
«الليلة التي تلت حفلة العشاء... الليلة التي رأيت سولانج في غرفتي... كنت أعتقد أنها أنت، يا فلورا...»
كان يعلّق أهمية كبرى على ردّة فعلها أمام هذا التصريح، شعرت بذراعيه يتشنجّان حولها بينما كان ينتظر جوابها.
فتلعثمت وقلبها ينبض بسرعة:
«كنت تعتقد أنها أنا؟ لكن كيف...؟»
«عندما دخلت الى غرفتي، سمعت صوتاً... يشبه حفيف الفستان الذي ارتديته تلك الليلة. وكذلك تنشقت العطر الجديد الذي صنعته خصيصاً لك، وحسب علمي، لا أحد غيرك وصل اليه. اذاً، بالطبع...»
أكملت فلورا، غير مصدّقة:
«اعتقدت أن الذراعين اللتين لفّتا عنقك هما ذراعي».
واستعادت المشهد في خلال ثوان قليلة. تذكّرت الطرقة الخفيفة على باب غرفتها. لا شك أن سولانج كانت تنتظر في الحمام وسمعت خطوات ألآن في الممشى.
«آه، لقد لعبت دورها في كمال!»،

قال ألآن بصوت ملتهب:
« فلوراً!»

شعرت فلورا أنها تذوب تحت نظره، وخاصة عندما تذكّرت الكلمات التي لفظها لسولانج في تلك الليلة: «آه يا حبيبتي، لو تعرفين كم كنت مشتاقاً أن آخذك بين ذراعي من جديد»

سألها في انفعال:

«هل تريدين أن أشرح لك أكثر. إن تصرفاتي كانت ناتجة في أغلب الأحيان من رغبتي اليائسة في أن أرى الزوجة الحنون التي أخذتني في إحدى الليالي إلى عتبة الفردوس».

همس بشغف وهو يقترب من فلورا أكثر فأكثر:

«يا إلهي! اذا كانت لديك أسئلة أخرى، فيجب ألاّ تنتظري لأردّ عليها. فاني أرفض أن أصبر أكثر من ذلك».

عانقها بحنان وشعرت بأنها تقبض على كل ما في الدنيا من سعادة.

مرّت فترة طويلة قبل أن يحرّرها من قبضته، لكنه ظلّ يشدّها اليه. وأمام وجه فلورا الولهان، همس:

« فلورا، ملاكي، اني احبك».

ثم أضاف:

«ظننت بأن لويس كان يبالغ عندما كان يصف جمالك، لكنه كان يقلّل من قيمته، يا حبيبتي. أنت أجمل مما كنت أتصوّر، ولم أر جمالاً في مثل هذه الروعة من قبل».

تسمّرت قبل أن ترفع عينيها المتضرعتين نحو نظارتيه السوداوين. وهنا خلعهما. فذهلت أمام البريق المنبثق من عينيه واجتاحتها غبطة عارمة جعلتها عاجزة عن النطق.

وفهم ما تعانيه وابتسم وهزّ رأسه ليبرهن لها أنه يقرأ هذا السؤال في عينيها.

«نعم يا فلورا. إني اراك! لهذا السبب أنا مدين لسولانج بعرفان الجميل. عندما جاءت الى غرفتي تلك الليلة، أخبرتها حقيقة شعوري نحوها وقلت لها أنني قرّرت أن لا ذراع غير ذراع فلورا يمكن اغرائي... ولذلك، عندما عرفت أنّ امي لم تعد في خطر، عدت الى المستشفى لأجراء الجراحة. والآن، يا حبيبتي، إذا أردت برهاناً أني لم أذهب الى باريس، فيمكنني أن أقدّمه لك».

كانت الصدمة بالغة الأهمية إلى درجة أنها احتاجت الى كل قواها لتضبط الانفعالات التي تختلج في نفسها. لكنه لم يكن ينوي أن ينتظر ليسمع ردّها، فاكتفت بالهمس:

« ألآن، هل هذا صحيح؟»

شدّها نحو قلبه وعانقها طويلاً. وراح يداعبها. لكن، شيئاً في داخلها ما يزال يرتجف، شك بسيط ما زال يقبع في زاوية صغيرة من عقلها.

«قولي إنك تحبينني، يا فلورا. أريد ان أسمع ذلك منك».

«لقد احببتك دائماً، يا ألآن».

«دائماً؟»

أبعدها عنه وحدّق في نظرها. كانت سعيدة جداً أنه استعاد بصره. لكنها لم تعد قادرة على إخفاء ذلك الشك البسيط. فسألته:

«هل صحيح أنك صدّقت في البداية... أني تزوجتك من أجل ثروتك؟»

أغمضت عينيها وانتظرت. أجاب برصانة، من دون حذر:

«أبداً، يا ابنتي الصغيرة. أقسم لك بذلك كنت أريد أن اقتنع بذلك،

وكنت أبحث عن حجة للأنتقام ممن أهانني وذلّني. لقد عاملتك معاملة سيئة. لكن، مع أسفي لمعاملتي والعذاب الذي قاسيته، فاني لست مستعداً للندم على تصرّفي معك في تلك الليلة. لقد توجّهت إليك مليئاً بالغضب والمرارة وتركتك وقلبي مليء بالحب والسلام والطمأنينة».

«كنت تحبّني حينذاك؟»

كانت صرخة آتية من أعماق القلب، إنه صدى عذاب كبير يرتجف لمجرد تذكّر العذابات التي قاستها. رفعت عينيها فرأت الندم في ملامحه. لكنه شدّها وقال:

«نعم. كنت أحبك حينذاك، كما سأحبّك دائماً، يا قلبي العزيز. كنت أغار من لويس. وكنت فاقد الأمل من استعادة بصري. لكن لا شيء يمكن أن يعادل العذاب الضاري الذي كنت أشعر به أمام فكرة أن أخسرك!»

عانقها من جديد بحرارة ولهفة... ولم تشعر فلورا بانقطاع السلسلة حول عنقها وبسقوط الميدالية الزرقاء، وتبعثر ما كان منقوشاً عليها باستثناء كلمتين فقط: متحدان... دائماً...!

روائع الأدب الرومانسي

لا ترحلي	آخر الاحلام
عذراء فى المدينة	هل تخطىء الانامل
الامواج تحترق	البحر الى الابد
العروس الاسيرة	الحصار الفضى
رجل بلا قلب	الشبيه
سيدة القصر الجنوبى	الكذبه
شهر عسل مر	الندم
عيناك بصرى	انت لى
من اجل حفنة جنيهات	جراح باردة
رجل من نار	طائر بلا جناح
نداء الدم	عاطفه من ورق
ليالى الغجر	قطار فى الضباب
ما اقصر الوقت	قل كلمة واحدة
قلب فى المحيط	منذ لا
المجهول الجميل	تغالى
الزواج الابيض	السعادة فى قفص
أقدام فى الوحل	هاربة
قال الزهر آه	هذيان
كيف أحيا معك	أرياف العذاب
غضب العاشق	اللهب والفراشة

روائع الأدب الرومانسي

مزرعه الدموع	دليلة
الواحه	القيد
الضائعون	الماس اذا التهب
صرخه البرارى	زوجة الهندى
دليلى	السر الدفين
دخان	طال انتظارى
الثأر	الوجه الآخر للذئب
وفازت	برج الرياح
خذ الحب واذهب	الماضى لا يعود
اللؤلؤة	لقاء الغرباء
لا تقولى لا	وردة قايين
المجهول	عصفور فى اليد
بين السكون والعاصفه	الغيمة اصلها ماء
رمال فى الاصابع	الهوى يقرع مرة
الشريدة	خيط الرماد
شاطىء العناق	الصقر واليمامة
ذهبى الشعر	حتى تموت الشفاه
تعالى إلى الأدغال	أصابع القمر
الفخ	وعاد فى المساء
فى قبضة الأقدار	القرار الصعب